

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	في مصر والسودان
٨٠	في الأقطار العربية
١٠٠	في سائر الممالك الأخرى
١٢٠	في العراق بالبريد السريع
١	تتم العدد الواحد

الأعلانات يثق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

ساحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المشؤل

أحمد حسن الزيات

*
الإدارة

بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة

تليفون رقم } ٤٢٣٩٠
٤٠٥٣٠

العدد ٧٣ D القاهرة في يوم الاثنين ١٨ شعبان سنة ١٣٥٣ — ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٣٤ E السنة الثانية

عهد وأى عهد !!

كان كَرِعة الحصى ، أو كَرِفة الزوال ، أخذ هذا البلد
المكين زهاء أربع سنين ، فكدر من طبعه ، وغير من وضعه ،
وبدد من نظامه !

هل تحملت الجنة وقد اتقى في ظلها الحفص ، واطرد
في مياها النعيم ، وانبلج في أجوائها الأنس ، وانبسط على
أرجائها السلام ، يقتحمها شياطين الجحيم عنوة ، فيجعلون ظلها
حروراً ، وماءها مُهللاً ، وأنسها وحشة ، وسلامها فتنة ؟
ذلك مثل النيل وواديه قبل هذا العهد الذميم وبعده !

كانت البلاد تسير مع الزمن إلى الأمام ، وتندرج مع
الطبيعة في النمو ، وتتوثب مع الحق على العدو ، فنجم فيها ناجم
من الشر اعترض طريقها اعتراض اللص ، ثم أثار في وجوهها
الربح فانكفأت إلى الخلف ، وامتنحت قلوبها بالبطش ففرغت إلى
الصبر ، وسلط على مرفئها المنى فقروا على الرئب ؛ وراح الذئب
المتنع أو الطاغية الكاذب يعيث في كل ديبان ، ويفتك في كل

فهرس العدد

صفحة	
١٩٢١	عهد وأى عهد ١١ : أحمد حسن الزيات
١٩٢٣	الأجنبية : الأستاذ مصطفى صادق الرافعي
١٩٢٧	عهد بك الوبلى : الأستاذ عبد العزيز البصرى
١٩٣٠	العرب في غاليس وسويسره : الأستاذ محمد عبد الله عنان
١٩٣٣	خالد بن الوليد : الفريق طه باشا الهاشمى
١٩٣٦	الرواية المسرحية : أحمد حسن الزيات
١٩٣٨	محاورات أنطالون : ترجمة الأستاذ زكى نجيب محمود
١٩٤١	كتاب الأوراق : محمد طه الحاجرى
١٩٤٤	الشباب في أمريكا : ابراهيم ابراهيم يوسف
١٩٤٥	رسالة (قصيدة) : الأستاذ نغرى أبو العود
١٩٤٥	تاجرة (قصيدة) : ح . ا .
١٩٤٥	عرس في مأتم (قصيدة) : أجد الطرابلسى
١٩٤٦	غيرة (قصيدة) : حبيب شوق
١٩٤٧	لونجفلو : مأمون اياسى
١٩٤٩	لمحة في تاريخ الرياضيات : عهد المبارك
	اليابان سنة ١٩٣٤ ، ذكرى العلامة الطبيعى برم ، عيد الأكاديمية الفرنسية ، البترول من ماء البحر ، الأدب وسية للغمام الدول
١٩٥٥	البريد الأدبى —
١٩٥٧	عمامة الأندى (قصة) : الأستاذ محمد سعيد الريان
١٩٦٠	صيد النزال : ترجمة شفيق هاشم

متفرقة ، فاذا ما تجمعت ذات مرة حول القوة الزعيمة الملهمة ، كانت هي الرجفة التي تهز الأرض من حين الى حين ، وتنقل التاريخ من فصل الى فصل !

ولكن ابن آدم سهوان : يُذله لجب السلطان عن صوت العبر ، كما يذله غرور الحياة عن يقين الموت ! فلا يفيق من سكرة الدنيا إلا بركة الداء ، ولا من سؤرة الحكم إلا بسقطة الوزارة !

سيتحرج التاريخ من تسجيل هذا العهد وإن سجل كثيراً من أمثاله ! لأن المظنون أن العالم يتقدم ولا يتأخر ، ويترقى ولا ينحط ؛ فكيف يجد المماذير لقطعة من الأرض يعزلها سارقوها عن الوجود الحاضر ، ثم يحاولون أن يضربوا الأسداد بينها وبين الحرية والديمقراطية ، فلا ترى سيادة هذه ولا تسع أناسيد تلك ؛ ولكن التاريخ لا ينسى — وإن نسى الناس — أن للنظام العالمي نجاحية تجذب المتخلف ، وللعادل الالهى صيحة تُسمع الأعم ، وللشعب الوديع حيوية تقضى تعود بالمبطل صاغراً الى الحق ، وتقيء بالحق السليب موفوراً الى أهله !

حنانك يارب ! لقد تألنا حتى أشفق الألم ، وصبرنا حتى جزع الصبر ، وضعينا حتى أصبحنا كلنا ضحايا ! فمضى أن يشاء عدلك وتريد رحمتك ألا تقاسى مثل هذا العهد ، وألا نعانى مثل هذه التجربة ، وألا نكابد مثل هذا البلاء !

الآن أصبح الليل ، وانجلت الغمة ، وتهتكت سدول الظلام عن السماء الواعدة ، والضياء الهادى ، والأفق الممتد ، والطريق القاصد ! قبل تترد الشياطين الى مقام سليمان ، وترجع الخفافيش إلى حوائك النيران ، ويستقيم القوم على عمود رأيهم حتى يلحقوا الناس ويدركوا الغاية !

محمد الزيات

مكان ، ويختل في كل جماعة ، حتى عطل سلطة الأمة ، وأبطل سطوة القانون ، وقوض ركن التضحية .

تناصرت أبالسمة الظلم والظلام على مشاعر هذه الأمة فتركها من الدسائس والمواجس والأوهام في مثل الدجى الخالك ، تقتل نفوسها ويقولون إنها مجاهد ، وتركب رءوسها ويعلمون أنها تسير ، وتضطرب في شقاها اضطراب الذبيح ويوهمون أنها نجيا ؛ ثم رصدوا خزانة الدولة وجنودها وشروطها وموظفيها لإقرار الشعب على الضيم ، ورياضته على الاستكانة ، فنى الجندى أنه حشد لمداغة العداة ، والشروطى أنه رُصد للمراقبة الجناة ، والموظف أنه أُعد لتصرف الأمور ، ووقفوا جهودهم على قطع هذا الشارع فلا يعبره عابر ، وحصر هذا البيت فلا يزوره زائر ، وتهدد هذا المحالف فلا يُخلفه بر ، وتقب ذاك المحالف فلا يُفلقه أذى !!

ثم انتشر الوعيد والوعد في جنبات النفوس يستنزلاتها عن الخلق ، ويفتناتها عن العقيدة ، ويفريانها بالعدالة ، ويحرصانها على الصداقة ، حتى اشتبه الوفاء ، وأتهم القضاء ، ومرضت الأهواء ، وانقطعت الأسباب بين المرء وصاحبه ، وانفجرت الحبال بين الرجل وواجه ؛ وكل ذلك لتترى جماعة ويتسلط فرد !!

لا لله ولا للوطن كانت هذه الحجة ! إنما كانت نزوة رَغناء من بغي الانسان على الانسان ! والناس لا يزالون كما كانوا في الدهر الأول يسرقون لياً كلوا ، ويقتلون ليعيشوا ، ويستعبدون ليسودوا ، ويستبدون ليحكموا ، لا يحمى الفرد من الفرد قانون ، ولا يعصم الأمة من الأمة معاهدة ! أما الدين والمدنية والعلم والأدب والفن والأنظمة فغطاه ذهبي على الناب ، وطلاء وردى على الخلب !

على أن ضعف الشعوب خداع ! لأنه قومي متفرقة في نفوس

في مجلسهما العزلي، جنبته إلى جنبها وقامتا إلى فيه^(١) وكأتما
هربت ثم أدركتها، وكأتما قوت ثم أمسكها. وبين
القُبلة والقُبلة هجران ودمج، وبين الألفنة والألفنة
غغسب ورضى

وهذا ضرب من الحب يكون في بعض الطباع الشاذة
الشسرفة التي أفرطت عليها الحياة إفراطها قبيلاً الحيوانية
بالإنسانية، ويجعل الرجل والمرأة كعض الأحماض الكيماوية
مع بعضها؛ لا تلتقي إلا لتتزوج، ولا تتزوج إلا لتتحد، ولا
تتحد إلا لينتفع وجود هذا وجود ذلك

وضرب الدهر من ضرباته، فأبغضته وأبغضها،
وفسدت ذات بينهما، وأدبر منها ما كانت مقبلاً؛
فوتب كلاهما من وجود الآخر وثبة فزع هارباً على وجهه.
أما هو فسخطها لسيوب نفسها، وأما هي... وأما هي
فتمكرته للحسن غيره. وانسربت أيام ذلك الحب في
مسارها تحت الزمن العميق الذي طوى ولا يزال يطوى
ولا يبرح بعد ذلك يطوى؛ كما يغور الماء في طباق الأرض.
فأصبح الرجل المسكين وقد زلت تلك الأيام من نفسه منزلة
أقرب وأصدقاء وأحباء ماتوا بمضهم وراء بعض، وتركوه
ولكنهم لم يبرحوا فكره، فكانوا له مادة حسرة ولحفة.
أما هي... أما هي فانشق الزمن في فكرها برجة زلزلة،
وابتلع تلك الأيام ثم التأم...!

فحدثنا «الدكتور محمد» رئيس جماعة الطلبة المصريين في
مدينة... بفرنسا، قال: وانتهى إلى أن صاحبنا هذا جاء إلى
المدينة، وأنه قادم من مصر، فتخالجتى الشوق إليه، ونزعت
إلى لقاءه نفسى، وما بيننا إلا معرفتى أنه مصرى قديم من مصر؛
وخيل إلى في تلك الساعة مما أحتاجنى من الحنين إلى بلادى
العريضة، أن ليس بينى وبين مصر إلا شارعان أقطعهما في
دقائق؛ تخففت إليه من أقرب الطرق إلى مشواه، كما يصنع الطير
إذا رأى إلى عشه فأبتدره من قطر الجوى

(١) تأويل هذا في باب (الحال) عند طرفة النوبين: متلاصقين متعاقبين

الأجنينة

للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

.....

أحبها وأحبته، حتى ذهب بها في الحب مذهباً قالت
له فيه: «لو جاءنى قلبى فى صورة بشرية لأراه كما أحسّه،
لما اختار غير صورتك أنت فى رقتك وعطفتك وحنانك.»
وحتى ذهبت به فى الحب مذهباً قال لها فيه: «إن الجنة
لا تكون أبدع فناً، ولا أحسن جمالاً، ولا أكثر إمتاعاً لو
خُلقت امرأة يهواها رجل؛ إلا أن تكون هى أنت.»
فقلت له: «ويكون هو أنت...»

وتدكمت فيه، حتى كأنما خلبها عقلها ووضع لها عقلاً
من هواه؛ فكانت تقول له فيما تبثه من ذات نفسها: «إن
حب المرأة هو ظهور إرادتها متبركة من أنها إرادة، مقيرة
أنها مع الحبيب طاعة مع أمر، ممدعنة أنها قد سلمت
كبرياءها لهذا الحبيب، لتراه فى قوته ذا كبريائين.»

وافقتن بها حتى أخذت منه كل ما أخذ، فلأتت نفسه
بأشياء، وملأت عينه من أشياء؛ فكان يقول لها فى نجواه:
«لنى أرى الزمن قد أنتسخ مما بينى وبينك، فانما نحن بالحب
فى زمن من نفسينا الماشقتين لا يسمى الوقت ولكن
يسمى السرور، وإنما نميش فى أيام قلبية لا تدل على أوقاتها
الساعة بدقائقها وثوانها، ولكن الساعة بمحقاتها ولذاتها.»

وتحباباً ذلك الحب الفنى العجيب الذى يكون ممتكاً من
الروحين يكاد يفيض وينسكب، وهو مع ذلك لا يبرح يطلب
الزيادة، ليتخيل من لذتها ما يتخيل الكبير فى نشوته إذا
طفحت الكأس، فىرى بينيه أنها ستسمع لأكثر مما
استلأت به، فىكون له بالكأس وزيادتها، سكر الحمر
وسكر الروم

تحابياً ذلك الحب القوار فى الدم، كأن فيه من دويرته
طبيعة الفراق والتلاقى، بنير تلاقى ولا فراق؛ فىكونان مياً

وقالت السيدة الزهرية : يا لها سعادة ! سأتحذّر زبنتي ،
وأسلح من شأنى ، وأكون بعد خمس دقائق فى مصر !

قال الدكتور : وأخذنا فى شأننا ، وكان معنا طالبُ
حسن الصوت قفام الى البيانة^(١) وعنى مقطوعة « طقطوقة »
مصرية من هذه القاطيع التى تُقطّطُ فيها النفس ، فجعل يَمطُلُ
صوتهُ باه ، وآه ، ودار اللحنُ دورةً تأوّهتُ فيها الكلماتُ
كلّهما . ثم اعتوّزَ البيانةُ طالبُ آخر فها شدّ عن هذه
السنة ، وكان بعد الأول كالنائمة تُجاوب النائمة . فالت على

السيدة الفرنسية وأسرتُ الى : أهانان امرأتان أم رجلان ... ؟
فقلت لها : إن هذا لحنٌ تأريخى ذو مقطوعتين كانت تَسطّارُحه
كيلوبارة وأنطونيو ، وأنطونيو وكيلوبارة : فأعجبت المرأةُ
أشدّ الإعجاب ، وأكبرتُ منها هذا الذوق المصرى أن نكرمها
لوجودها فى مجلسنا بالحنّ اللطيف المصرى الجميلة ، وطربتُ
لذلك أشدّ الطرب ، ومَلَسَها غمُور المرأة ، فجعلت تستعيد
« يا لوعتى ، يا شقاى ، يا ضنى حالى ... » وتقول : ما كان أرقُ

كيلوبارة ! ما كان أرقُ أنطونيو ! يا لفتنة الحب الملكى ...

قال « الدكتور محمد » : ثم خجلتُ والله من هذا الكلام
الخنث ، ومن تلفيقى الذى لفته للمرأة المخدوعة ؟ فانتفضتُ
انتفاضةً من علوّه الغضب ، وقد حمى دمه ، وفى يده السيفُ
البار ، وأمامه المدوّ الوقح ؛ وثرتُ الى البيانة فأجريتُ عليها
أصابعى ، وكان فى يدي عشرة شياطين لاعشرة أصابع ، ودوى
فى المكان لحنُ « اسلمى يا مصر » وجلجل كالعدى قبة الدنيا ،
تحت رطباق الغيم ، بين شرار البرق . فكأنما ترزّل المكان على
السيدة الفرنسية وعلينا جميعاً ، وصرخ أجدادنا يزأرون من
أعماق التاريخ : « اسلمى يا مصر » . ولما قطعتُ التفتُّ إليها فى
كبرياء تلك الموسيقى وعظمتها ، وقلتُ لها : هذا هو غناؤنا نحن

الشبان المصريين

ثم راجعنا صاحبنا الضيف ، وأحسبناه بالسألة ، فقال
بعد أن دافننا طويلاً : إنه يحسن شيئاً من الموسيقى ، وإن له
لحنًا سيطارحنا به لتأخذه عنه . فظننا بلحنه قبل أن نسمعه ،

(١) البيانة : كلمة اسمتنا فى كتابنا (المحاب الأجر) لليانوس ،
وتجمع على يانات

قال : وأصبته واجماً يعلوه الحزن ، فتمرّفتُ إليه فما
أسرع ما مَلَأ من نفسى وما ملأتُ من نفسه . وكأى يمجى
الزمانُ بين الحبيبتين إذا التقيا بعد فُرقة — يتلاشى المكانُ
بين أهل الوطن الواحد إذا تلاقوا فى الغربة . فذابت المدينةُ
الكبيرة التى يحن فيها ، كأن لم تكن شيئاً ، وتجلّى سحرُ
مصر فى أقوى سطورهِ وأشدها ، فأخذنا كلينا فاستشعرنا
ساعتئذٍ إلا أن أوروبا المظلمة كأنما كانت مرسومة على ورقة ،
فطويتها وأحللنا مصرَ فى محلها

وطنى علينا نازعُ الطرب طغياناً شديداً ، فأرسلتُ من
يجمع الاخوانَ المصريين ، واخترتُ لذلك صديقاً شاعراً
القطرة ، فنزّاهه الطرب ، فكان يدعوهم وكأنه يؤذّن فيهم
لاقامة الصلاة . وجاءوا يُهرّون هرولة الحجاج ، فلو
نَطَقَتِ الأرضُ الفرنسية التى مَشَوْا عليها تلك الشيةُ
لقات : هذه وَطأةُ أسودٍ تتخيّلُ خيلاءها من بَنور
النشاط والقوة

ألا ما أعظمك يا مصر ، وما أعظم تمنّتك فى هذا السحر
القائن ! أبنيتُ أن يقرب كلُّ أهلك حتى يدركوا معنى ذلك
الحديث النبوى العظيم « مصرُ كنايةُ الله فى أرضه . » فيعرفوا
أنك من عزّتك معلقة فى هذا الكون تليق الكنانة فى دار
البطل الأروع ؟

قال « الدكتور محمد » : واجتمعنا فى الدار التى أزل فيها ،
فراع ذلك صاحبةُ مَشْواى^(١) ، فقلت لها : إن ههنا ليلةٌ مصرية
ستحتلُّ ليلتكم هذه فى مدينتكم هذه ، فلا تجزعوا . ثم دعوتها الى
مجلسنا لتشهد كيف تستعلنُ الروحُ المصرية الاجتماعية برقتها
وظرفها وحاستها ، وكيف تُفسّر هذه الروحُ المصرية كلَّ
جميل من الأشياء الجميلة بشوقٍ من أشواقها الخائنة ، وكيف
تكون هذه الروحُ فى جوِّ موسيقيتها الطبيعية حين تُنجا
أحبائها ، فيجىء حديثها بطيمته كأنه ديباجةُ شاعرٍ فى مقامها
وحلاوتها ورنين ألفاظها ؟

(١) صاحبة التوى مربية البيت الذى ينزل فيه الضيف ومن كان
فى حكمه ، يقول العزى : من كانت صاحبة مَشْواى تتطابق على صاحبة
البنيرين

أسديكم هذه النصيحة التي لم يضعها مؤلف تاريخي لسوء الحظ،
إلا في الفصل الأخير من رواية شقائي :

« إياكم إياكم أن تشتروا بعماني المرأة ، تحسبونها معاني
الزوجة . و فرّقوا بين الزوجة بخصائصها ، وبين المرأة بعمانيها ؛
فان في كل زوجة امرأة ، ولكن ليس في كل امرأة زوجة .

واعلموا أن المرأة في أوثقها وفتونها النسائية الفردية ، كهذا
انسحاب اللون في الشفق حين يبدو ؛ له وقت محدود ثم
يُمسَخ مسخاً ؛ ولكن الزوجة في نائيتها الاجتماعية كالشمس ؛
قد يحجبها ذلك السحاب ، يئد أن البقاء لها وحدها ، والاعتبار
لها وحدها ، ولها وحدها الوقت كله .

لا تزوجوا يا إخواني المصريين بأجنبية ؛ إن أجنبية تزوج
بها مصري هي مدس جرائم فيه ست قذائف :

الأولى : توارث امرأة مصرية وصياعها بضباع حقها في
هذا الزوج . وتلك جريمة وطنية ؛ فهذه واحدة

والثانية : إيقام الأخلاق الأجنبية عن طبعنا وفضائلنا - في
هذا الاجتماع الشرقي ، وتوهينه بها وصدغه ؛ وهي جريمة
أخلاقية

والثالثة : دس العروق الزائفة في دماننا ونسلينا ، وهي
جريمة اجتماعية

والرابعة : التمكين للأجنبي في بيت من بيوتنا ، يملكه
ويحكمه ويصرفه على ما شاء ؛ وهي جريمة سياسية

والخامسة : التسلم منا بإشاره غير أخيه المسلمة ، ثم
تحكيه الهوى في الدين ، ما يعجبه ومالا يعجبه ، ثم إلقاءه

السم الديني في نبع ذريته المقبلة ، ثم صيرورته خزيًا لأجداده
الفاتحين الذين كانوا يأخذونهن سبايا ، ويجعلونهن في المنزلة

الثانية أو الثالثة بعد الزوجة ؛ فأخذته هي رقيقاً لها ، وصار
معها في المنزلة الثانية أو الثالثة بعد . . . وهذه جريمة دينية

والسابعة : بعد ذلك كله ، أن هذا المسكين يؤثر أسفله
على أعلاه . . . ولا يزال في ذلك خمس جرائم فظيمة

وهذه السادسة جريمة إنسانية !

ما كنت أحسب يا إخواني وقد رجعت بزجتي الأوربية

وقلناه : افعل متفضلاً مشكوراً ، وما زلنا حتى نهض متشاقلاً
نجلس الى البيانة وأطرق شيئاً ، كأنه يُسوَّى أوتاراً في قلبه ، ثم
دقَّ بقشاجي بهذا الصوت :

أضاع غدي من كان في يدي غدي
وحطمني من كان يجهدني في سبكي
فان كنت لا آسى لنفسي فمن إذن ؟

وإن كنت لا أبكي لنفسي فمن يبكي (١)
قال « الدكتور محمد » : فكان الغناء يعتملج في قلبه
اعتلاجاً ، وكانت نفسه تبكي فيه بكاءها وتقص من غصتها ،
وكأن في الصوت فكراً حزيناً يستعلن في هم موسيقى ؛ وخيل
الينا بين ذلك أن البيانة انقلبت امرأة مغنية تطارح هذا الرجل
عواطفها وأحزانها ، فاجتمع من صوتها أكل صوت انساني
وأجله وأشجاءه وأرقه .

فأطفنا به وقلناه : لقد كتمتنا نفسك حتى تم عليها
ما سمعنا ، وما هذا بفناء ، ولكنه هموم ملحنة تلحيناً ، فلن
ندعك أو نُخبرنا ما كان شأنك وشأنها .

فاعتدل علينا ودافعتنا جهده ، فقلناه : هيات ؛ والله
لن نُثلك وقد صرت في أيدينا . وإنك ما تريد على أن تمظنا
بهذه القصة ؛ فان أمسكت عنها فقد أمسكت عن موعظتنا ،
وإن بخلت فما بخلت بقصتك بل بلم من علم الحياة ففيدة منك ؛
وأنت ترانا نعيش هاهنا في اجتماع فاسد كله قصص قلبية ،
بين نساء لا يلبسن إلا ما يعرّي جاملهن ، وفي رجال أفرطت
عليهم الحرية ، حتى دخل فيها مخدع الزوجة . . . !

قال الدكتور : ونظرت فاذا الرجل كالسف قد تغير لونه ،
وتبين الانكسار في وجهه ، فألمت بما في نفسه ، وعلت
أنه قد دهم في زوجة من هؤلاء الأوربيات اللواتي يتزوجن
على أن يكون مخدع المرأة منهن حراً أن يأخذ ويدع ، ويُغير
ويبدل ، ويقسم كلمة « زوج » قسمين وثلاثة وأربعة وما شاء . .
وكأنما مسست البارود بتلك الشرارة ، فانبجرت نفس
الرجل عن قصة ما أظلمها !

قال : يا إخواني المصريين ، قبل أن أنقض لكم ذلك الخبر ،
(١) وضنا هذين البيتين لطل القصة ، وكلم هذه القصة من أبطال . . !

عندنا يا إخواني تمتدُّ الزوجات ، يتهموننا به من عمى
وجهل وسخافة . أنظروا ، هل هو إلا إعلانٌ لشرعية الرجل
والأنونة ، ودينية الحياة الزوجية في أي أشكالها ؛ وهل هو إلا
إعلان بطولية الرجل الشرقي الأوف التسيور أن الزوجة تمتدّد
عند الرجل ولكن . . . ولكن ليس كما يقع في أوروبا من أن
الزوج بتمتدّد عند المرأة . . .

يهموننا بتمتدّد المرأة على أن تكون زوجة لها حقوقها
وواجبها ، بقوة الشرع والقانون ، نافذة مؤدّاة ، ثم لا
يهمون أنفسهم بتمتدّد المرأة خليلة مخادنة ليس لها حق على
أحد ، ولا واجب من أحد ، بل هي تتقادقها الحياة من رجل
الى رجل ، كالسكر يتقاذفه الشارع من جدار الى جدار

لعنة الله على شيطان المدينة العالم المخترع المحتش ، الذي
يجمل للمرأة الأوربية بمد أن يتزوجها الرجل الشرق أصابع
« أوتوماتيكية » ، ما أسرع ما تمتد في نزوة من حماقتها الى
رجلها بالسدس ، فاذا الرصاص والقتل ؛ وما أسرع ما تمتد
في نزوة من عواطفها الى عاشقها بفتح الدار ، فاذا الحياة والسهر ؛
ماذا تتوقمون يا إخواني من تلك الرقيقة الناعمة ، الثائنة

بكل ما فيها أنونة تكفي رجلاً لا رجلاً واحداً ، وقد ضعفت
روحية الأسرة في رأيها ، وأبشذت الزوجية في مجتمعا
ابتدالا ، فأصبح عندها الزواج للزواج على إطلاقه ، لا لتكون
امرأة واحدة لرجل واحد مقصورة عليه ؛ وبذلك عاد الزواج
حقاً في جسم المرأة دون قلبها وروحها ؛ فان كان الزوج مشثوماً
منكوباً لم يستطع أن يكون رجلاً قلبها - فغليه أن يدع لها
الحرية لتختار زوج قلبها . . . ؛ ومعنى ذلك أن تكون هذه
المرأة مع الزوج الشرعي بمنزلة المرأة مع فاسق ؛ ومع الفاسق
بمنزلة المرأة مع الزوج الشرعي . . . ؛ وإن كان الرجل منحوساً
مخسباً ، وكان قد بلغ الى قلبها زمناً ثم مله قلبها - فغليه أن
يدع لها الحرية لتنتقل وتلد بلذات الهوى ، ويقول لها : شأناك
بمن أحببت ، فان هذا النحو من الخسب ليس عندها إنساناً ،
ولكنه رواية انسانية انتهى الفصل الجميل منها بمناظره الجميلة ، وبدأ
فصل آخر بحوادث غير تلك . فليسن يشهد الرواية أن يتبرم
ما شاء ، ويستقل كما يشاء ، ومتى شاء أنصرف من الباب . . .

الى مصر - أني أحضرتُ مبي من أوروبا آلة تصنع أحزاني
وسعائبي ؛ ولم يكن رعتني أحدٌ بما أعظكم به الآن ، ولا
تنسبتُ بذلك الى أن الزوجة الأجنبية تثبت لي غربي في
بلادي ؛ وتثبت على أني غير وطني أو غير تامر الوطنية ، ثم
تكون مبي حافة تثبت للناس أني أحق فيما اخترت ؛ ثم تعود
مشكلة دولية في بيتي ، يزورها أبناء جنسها ويستزيرونها رغم
أني وفي وجهي كله ؛ ويستطيلون بالحماية ، ويستترون
بالمميزات ، ويرفون ستاراً عن فصل ، ويرجون ستاراً عن
فصل . . . وأنا وحدي أشهد الرواية . . .

إن الشيطان في أوروبا شيطان عالم مخترع . فقد زين لي من
تلك الزوجة ثلاث نساء مآ : زوجة عقلية ، وزوجة قلبية ،
وزوجة نفسية ، ثم نفت اللعين في روعي أن المرأة الشرقية
ليس فيها إلا واحدة ، وهي مع ذلك ليست من هؤلاء الثلاث
ولا واحدة . قال الخبيث : لأنها زوجة الجسم وحده ، فلا تسمو
الى العقل ، ولا تتصل بالقلب ، ولا تمزج بالنفس ؛ وأنها بذلك
جاهلة ، غليظة الحس ، خسنة الطبع ، لا تكون مع الصرى
إلا كما تكون الأرض الصرية مع فلاحها

لعنة الله على ذلك الشيطان الرجيم العالم المخترع ؛ ما علمت
إلا من بدو أن هذه الشرقية الجاهلة الخسنة الجافية هي كالنجم
الذي تيرهُ في ترابه ، وماسه في فحبه ، وجوهه في معدنه ؛
وأن سمويتها من صعوبة العفة المتتعة ، وأن خسونتها من
خسونة الحب المترتبقة ، وأن جفاءها من جفاء الدين المتساي
على المادة ؛ وأنها مجموع ذلك كان لها الصبر الذي لا يدخله
المجز ، وكان لها الوفاء الذي لا تلحقه الشبهة ، وكان لها
الايثار الذي لا يفسده الطمع . هي جاهلة ، ولها عقل الحياة في
دارها ؛ وغليظة الحس ؛ ولها أرق ما في الزوجة لزوجها
وحده ؛ وخسنة الطبع ، لأنها تنزه أن تكون ملساً ناعماً
لهذا وذلك وهؤلاء وأولئك . . . لا كامرأة الحب الأوربية ، التي
تجمل نفسها أني الفن ، وتريد أن تعيش دائماً مع زوجها الشرقي
من التفضيل والايثار والاجلال والاباحة - في كلمة « أنا »
قبل كلمة « أنت » . . . امرأة أنشأها الحرب العظمى بأخلاق
محرّبة مدمرة تنفجر بين الوقت والوقت

٢ - محمد بك المويلحي

للاستاذ عبد العزيز البشري

لست أغلو إذا زعمت أنني في مطلع نشأت الأدبية كان « مصباح الشرق » عندي هو المثل الأعلى للبيان العربي . وبهذا كنت شديد الأكباب على قراءته ، وتقليب الذهن واللسان في روائع سيفه وطرائف عباراته . حتى لقد كنت أشعر أنني أرتشفها ترشفاً لتدور في أعراق وتخالط دمي ، وتطبع ملكتي على هذا اللون من البيان الجزل السهل الناقد الطريف . ولكن (ما كل ما يتمنى المرء يدركه) !

ولقد كنت فتى مولماً بالصناعة ، شأن أكثر فابنة التأديب في ذلك العهد . فلما أرسل محمد المويلحي في المصباح (أحاديث عيسى بن هشام) زادني وزاد لِدائي به فتونا كيف نتمثل في محمد المويلحي ؟ :

لم تكن عيني الى هذا العهد قد وقمت قط على محمد المويلحي ، ولا خياراً للره في تمثيل صورة من لم ير من الأمامي ، وما لم يشهد من البقاع . فكانت الصورة التي جلاها على الخيال لهذا الرجل ، صورة شاب معتدل القد ، وضيء الطلعة ، وسيم الوجه قسيمه . وما كان ذلك البيان الجوهري ليجلو على من الرجل غير ذلك . على أنني كنت أرى أباه إبراهيم بك الحين بعد الحين في زيارته لوالدنا ، عليهما رحمة الله ، وفي زيارات والدنا له (بمهارة الباطلي) يوم كنت أحجبه . وكان هذا المويلحي تحفة من تحف العصر التي قل أن يجود بمثلهما الزمان : قوة لسن ، واشتغال ذهن ، وحضور بديهية ، وسطوة نكتة ، وسعة علم بالزمان وأحوال الناس . أما سرعته وتوفيقه في إيراد الشاهد من عبر التاريخ ، ومأثور الآداب من مشور الكلام ومنظومه ، فهذا ما لم يتعلق ببقائه فيه أحد . فكان مجلسه متاعاً من أعظم المتاع على أنني لم أوفق الى رؤية المويلحي الاين مرة واحدة !

وتتابعت السنون ، وخلص تحرير « المصباح » الى محمد . ثم امتحنه القدر بمجادنة اعتداء يسير عليه من بعض الطيئش من أبناء (النوات) في إحدى القهوات . وانتهى الخبز الى الرجوم

امرأة هذه المدينة هي امرأة العاطفة ؛ تتعلق باللفظ حين تُلدبُسه المايمة من زينتها ، وإن ضاع فيه المعنى الكبير من معاني النقل ، وإن فانت به النعمة الكبيرة من نعم الحياة

تقوى المساطفة فتجىء بها الى رجل ، ثم تقوى الثانية فتذهبُ بها مع رجل آخر ... ! وتُقبِّدُ نفسها إن شاءت ، وتُسرِّحُ نفسها إن شاءت ؛ وما يُبدُ من أن تبسِّلوا الحياة كما يبلوها الرجل ، وأن تخوض في مشاكلها ؛ وإذا شاءت جعلت نفسها إحدى مشاكلها . ! ولا مندوحة من أن تتولى شأن نفسها بنفسها ، فإذا خاست أو غدرت فكل ذلك عندها من أحكام نفسها ، وكل ذلك رأيٌ وحقٌ ، إذ كان محورُها الذي تدور عليه هو عاطفتها وحرية هذه العاطفة ، فمن هذا يُقرَّر لها خطتها ، وعلى عليها واجباتها ، ويُزور لها الأسماء على إرادته دون إزادتها ، فيسمى لها نكداً قلبها باسم فضيلة المرأة ، وحرمان عاطفتها باسم واجب الزوجة الشريفة ؟

ومندا خَوَّه الحق أن يقرَّر وأن يُعلى ؟ وهذا الشرقُ المتيقنُ المأفونُ الذي قبَّلها سافرة لا تعرف رُوْحها ولا جسمها الحجاب ؛ ما باله يُريد أن يضرب الحجاب على عاطفتها ، ويتركها محبوسة في شرفه وحقوقه وواجباته ، وإن لم تكن محجوبة في الدار ؟

ما علمتُ يا إخواني إلا من بعد ، أن الزوجة الغربية قد تكون مع زوجها الشرق كالسائمة مع دليلها . هيئات هيئات ، إنه لن يُمكنها عليه ، ولن يُكرِّهها على الوفاء له ، إلا أن تكون حشاةً زهد فيها حتى ذباب الناس ؛ فيأسها هو يجعل هذا السكن مطمهماً ، وهي مع ذلك لو خلطته بنفسها لقيت منها ناحية لا تختلط ، إذ ترى أمته دون أمتها ، وجنسه دون جنسها ؛ فما تُسبُ أمه زوجها وبلاده بأقبح من هذا !

أما والله إن الرجل للشرق حين يأتي بالأجنبية لتلويح حياته بألوان الأثني ... لا يكون اختار أزمى الألوان إلا لتلويح مصائب حياته ، وقد يكون هناك ما يشد ، ولكن هذه هي القاعدة

أما قصتي يا إخواني

قال الدكتور محمد : قد حكيتها « برحمتك الله »

طنطا

محمد المويلحي

ظاهرها أكثر من منظر (حوش) في قرافة الأمام ، فإذا جرت مداخها انفرجت للعين سديقة واسعة قد عديت طرقها تميداً ، ونضدت أشجارها تضيداً ، وتأقت يد البستاني في تسويتها وتميقها ، كما تأقت يد الطبيعة في تشجيرها وترويقها : فهذا الفلّ الوضى الآلق ، وهذا الورد المشرق الضاحك ، وهذا الرجس تنبث من عيونه الأسحار ، وهذا الياسمين لقد استحال تنفساً في ساع الأسحار .

ولقد أفرد زاوية من زوايا الحديقة للغزلان والطواويس وجماعات الطير من كل غرير صدّاح

ويستقبلي ، رحمة الله عليه ، بالبشر والتأهيل والترحيب ، وإذا نى لزاء رجل حنطى اللون ، بين الطويل والقصير ، والسمين والمزبل ؛ مستطيل الوجه ، عريض الجبهة ، حادّ العينين ، مستوى الأنف ، له فم قريب إلى القوّه في غير قبح ولا استكراه . إذا تمثّل واقفاً لمحت في ساقيه تقوساً خفيفاً لعله دخل عليه من أنه علاج المشى قبل أن تصأب عظامه . وله إذا تحدث صوت لا أقول خشن بل أقول سجزل . فإذا أقبل على القراءة زرّ عينه اليسرى فبان التكرش الشديد في معقد ما بين أعلى المارض وأسفل الجبين ، وهذا التكرش لاشك كان من أثر السنين ، وإن كان يخفيها في المويجى شدة عنايته بصحته ، وتكلفه ألواناً من علاج البدن بمآثور الوصفات ، والترام الحية في كثير من الأوقات ، وأخذ النفس بالراحة التامة ما تستثيره أزمة من الأزمات ، ولا يستدرجه مجلس لهو ولا تقنصه داعية لذة من اللذات ؛ وبهذا تمها له أن يحيا في مثل نضرة الشباب إلى المات

وقد تلقاني في غرفة الاستقبال ، وهي غرفة أنيقة حقاً — لقد أئنت بأغفر الأناث وأغلا ، وأغفر من كل شيء فيها الأنافة في تصفيف الفراش والذوق التام . وقد زينت أجيئها بصور كبيرة ولأبيه ، وللأميرة نازلى فاضل ، وللسيد جمال الدين الأفغانى . وبلوحات خطية جميلة جرت بروائع الحكم ، وأكثرها من شعر المعرى

وخضنا في أحاديث من أحاديث الأدب ، ولو ما الكلام تلونياً حتى تجاوزنا نصف الليل ، وتفارقنا وكان جبل المودة بيننا ممدود من عشرين سنة . وتواعدنا اللقاء ما تمها لنا . وكذلك استمكن

الشيخ على يوسف ، وكان في صدره موجدة شديدة على محمد وعلى أبيه لما كان بينه وبينهما من كيد وصراع ، فأنهر الفرسه ، وروى الحادثة في صورة مهولة ، واستدرج الكتاب والشعراء للقول فيها ، وفسح لهذا في المؤيد مكاناً عريضاً . ومن ذا الذى لم يكن موقوراً من المويجى ؟ ومن ذا الذى لم يقدر الير منه في مستقبل الأيام ؟ وإذا كان الرجل عاجزاً عن أن يخرج للمويجى وحده ، فهذه جموع الأدباء والشعراء والعلماء أيضاً قد نداكت لقتاله بكل ما في أيديها من سلاح ! ألا فليتقدم لطن المويجى من شاء أن يتقدم ، فليس على أحدي في قتاله اليوم من بأس ! وتثور العاصفة : ويشتدّ البأس ، ونحمر الحدق ، وأذن النفير العام ، فوثب القاعد ، وتحرك الساكن ، وانبعث الجائم ، وهب النائم . وأهاب القمّديون بالتخاف ، واستحمضوا التخاذل . وشد الجميع على قلب رجل واحد . وهل كان من المستطاع أن يصمد لهذا الجيش اللجب رجل واحد ؟ . لم يستطع المويجى أن يثبت في الميدان ، فأطفا « المصباح » وانسل إلى داره وقد ألقى يد السلام ، واحتجب ولكن في انتظار التار ورى النلة بالانتقام ! .

ولقد تم للمويجى من هذا بعض ما أراد أو كل ما أراد . فلقد كان ممن أناروا النائرة على الشيخ على يوسف أيام حادث الزوجية المشهور ، وفتح له في جريدة (الظاهر) باباً مثل ذلك الباب ، واستدرج له أقلام الشعراء والكتاب . وواحدة لو احدثه كفاء

من رأيت المويجى ، وكيف انصت به ؟ :

بين سنتي ١٩٠٧ ، ٩٠٨ ، لا أذكر على التحديد ، سألت صديقاً حديث العهد بصداقتي ، ولكن وده للمويجى قديم — سألته وتمت عليه أن يجمع بيني وبينه ، وما كان أبلغ دهشى واعتباطى حين قال لى : إن المويجى قد طالعه أنه يحب أن يرانى ، ولعله عرف بى من أيام كنت أرسل القول في الشيخ في فتنة الزوجية شعراً ونثراً . (واسأل الله أن يغفر لى هذا) . وتواعدنا أن نذهب إليه في الأصيل

وكان ، رحمه الله ، قد اتخذ مسكنه داراً من دور سعيد باشا نصر ، تقع في أطراف العباسية يومئذ . وهذه الدار لا يعطى العين

ثم جعل يتعلم على أبيه ، ويكيب على قراءة الكتب في العلوم والآداب ، ثم اتصل بأئمة العلماء وأقطاب أصحاب الأدب من أمثال السيد جمال الدين الأفغاني ، والشيخ محمد عبده ، والشيخ حسين المرصني ، ومحمود باشا ساي البارودي ، وغيرهم من أعلام عصره فحقق العربية وبرع فيها ، وجود البيان أياً تجويد ، وهياً له جده واضطرابه في أسفاره بين الشرق والغرب تجويد اللغات الفرنسية ، والتركية ، والاطالية ، كما أصاب حظاً من الإنجليزية واللاتينية . وكان كثير القراءة الى غاية المات ، فلا تكاد تقنم عليه إلا رأته يبالغ بالتنسيق حديقته ، أو يقرأ في كتاب عربي أو في كتاب يجري في إحدى هذه اللغات

ولقد سأله ذات يوم عن أحسن الفرص التي هيأت له أعظم حظ من العلم فقال : كنت في الآستانة في ضيافة رجل فاضل يدعى سليمان أفندي ، وكان عنده مكتبة تمد من أنحر المكاتب الأهلية ، فلبست ثيابي ذات عشية تأهباً للخروج كعادتي لأسهر في بعض ملاهي المدينة ، وتفقدت كيسي فاذا هو سفر من الدرهم والدينار ، فنضوت ثيابي ثانية وقلت باسم الله ، ولبتت عاكفاً على قراءة الكتب لا أبرح هذه المكتبة إلا للنوم أو لغيره من حاجات الحياة . وظللت على هذه الحال ستة أشهر وبعض الشهر حتى أذن الله بالفرج ، وجاءني من المال ما هيأ لي استئناف الحياة مع الناس

ومن يعرف صبر المويلحي ، وشدة حمله على نفسه ، لا يستطيع أن ينكر منه هذا المقال ، وسألم إن شاء الله بهذه الخلة العجيبة فيه عند الكلام في عاذايه وأخلاقه . وحسبي هذا الآن فقد أطلت الحديث ، وإلى اللتي القريب ما

عبد العزيز البشري

الألف واستوتقت جبال الورد ، فما تتفارق إلا على موعد من لقاء قريب . ولقد أعيش معه اليومين والثلاثة تقرأ عامة نهارنا وصدراً من ليلنا كتباً ، أو نتذاكر أدباً

وكان ممن يختلفون الى داره مغرب الشمس عادةً بعض أقطاب العلم وأصحاب الرأي والبيان والبداهة الواوية ، وأذكر منهم المرحومين عمه السيد عبد السلام باشا المويلحي (سر تجار مصر) ، والسيد محمد توفيق البكري ، والشيخ علي أبوسف ، بعد إذ تصافت القلوب مما كان علق بها من الأضغان ، والسيد محمد الباطي ، ومحمد بك رشاد ، وحافظ بك إبراهيم ، وعبد الرحيم بك احمد ، وحافظ بك عوض ، والسيد عبد الحميد البنان . أحيائها الله أطيب الحياة . وخذ ماشئت في أثناء هذه المجالس من أدب رائع ، ومن نادرة طريفة ، ومن حاضر نكتة قل أن تسخو بمثلها الأذهان

ولقد كنا نقضى معاً عامة الصيف في مدينة الاسكندرية . ولعل من أسعد هذه الأسياف ذلك الذي قضيناه معاً في فندق في ضاحية المكس خالصين للرياضة ومراجعة الكتب في مختلف الآداب ، لا ننحدر الى صلب المدينة إلا لقضاء سهرة موفقة مع آثر الصحاب . كما عشنا معاً في شتاء سنة ٩١١ ، ٩١٢ بضمة أشهر في دار استأجرناها في حلوان

وفي سنة ١٩١٠ قُله في ديوان (عموم) الأوقاف منصب رئيس قسم الإزادة والسكرتارية ، وفي يناير من سنة ١٩١١ عينت في (قلم السكرتارية) . وللمويلحي في هذا التعمين سبي غير منكور . وبيتهنا أصبح لي رئيساً ، كما كان لي أستاذاً وصديقاً

ولقد ظل الورد بيننا موصولاً حتى قبض إلى رحمة الله

نصاته ودراسته :

هو السيد محمد المويلحي بن ابراهيم بك بن السيد عبد الخالق اللويلحي . أصلهم من برفاً المويلح ببلاد العرب ، هبط جدودهم مصر من زمن غير قصير ، وكانوا يتجرون في صناعة الحرير ، وهم أهل نعمة وثرأه . ولقد أتلف أبوه ابراهيم كل ما كان في يده من الأموال فلم يترلق عنه لبنيه إلا رطلات من الاستحقاق في بعض الأوقاف . وما أحسب محمداً تجاوز في الدراسة المنظمة التعليم الابتدائي .

آلام فرتر

الشاعر الفيلسوف جوته الألماني

ترجمها الأستاذ احمد حسن الزيات

منها ١٥ قرشاً

صحف مطبوعة من التاريخ الاسلامي

٢- العرب في غاليس وسويسره

للأستاذ محمد عبد الله عنان

انتشرت الستمترات والمائل العربية خلال القرن العاشر في بروقانس وسافوا وبييمون وسويسره كما بينا ، وبسط العرب سيادتهم على ممرات جبال الألب وعلى الحدود بين غاليس وبلاد اللونبارد (شمال إيطاليا) وبينها وبين سويسره ، وبنوا في تقدمهم في غاليس مدينة جرينوبل ، واحتلوا في سويسرا ولاية فاله ومفاوز جورا المتاخمة لبرجونية ، واحتلوا في ايطاليا الشمالية ولاية ليجوريا . وكانت معقلهم في بروقانس ولا سيما حصن « فركنيه » قواعد غزواتهم وملاذ قوتهم وسيادتهم . والظاهر أنهم اتبعوا نفس هذه الخطة في سهول بييمون فأنشأوا بها سلسلة من الحصون والقلاع القوية لتكون مركز غزواتهم في بلاد اللونبارد وفي سويسره ؛ فان الرواية الكنسية التي كتبها جبر معاصر من دير نوقليس تذكر لنا اسم حصن عربي في تلك الأنحاء وتسميه « فراشنديلوم » Frashendellum ؛ والمطنون أنه هو المكان الذي تعرفه الجغرافية الحديثة باسم « فراستيو » وهو الواقع في لومبارديا على مقربة من نهر « بو » . وتقص علينا نفس هذه الرواية الكنسية أيضاً أن سيدياً نصرانياً من سادة تلك الأنحاء يدعى إيمون دفعه شغف الغارة والكسب إلى مخالفة العرب ، فانضم إليهم واشترك في غاراتهم الناهية ، وفي ذات يوم وقعت بين السبايا امرأة رائحة الحسن ، فاستبقاها إيمون لنفسه ، ولكن زعيماً عربياً استحسنها واتزعا منه قسراً ؛ ففضب إيمون ، والتجأ إلى كونت روتبالدوس حاكم بروقانس العليا ، وفاوضه سراً في محاربة العرب وإيقاد البلاد منهم ، فرحب الكونت بهذا المشروع ، ودعا السادة إلى معاوته ، واستطاع أن يحدد قوات كبيرة ، وهوجم العرب في بييمون من كل صوب وضمروا ، وسقطت قلاعهم في يد النصاري ، وذهب سلطانهم في تلك الأنحاء وتقص الرواية الكنسية أيضاً قصة مؤامرة دبرها كوزراد

ملك برجونية لأهلاك العرب النازلين في أملاكه ، في جورا وعلى حدود برجونية ، والمجر الذين كانوا يشاطروهم يومئذ الاغارة والميث في تلك الأنحاء . وذلك أنه كتب إلى العرب يستحثهم لقتال منافسهم المجر ، وانتزاع ما يبدم من الأراضي والضياع الخصبية ؛ وكتب مثل ذلك إلى العرب يستحثهم لقتال المجر والمأونة على إجلاتهم ، وعين مكاناً للقاء العريقين ؛ فالتقت الجموع المتنافسة من العرب والمجر ونشب بينهما قتال هلك فيه كثير من العريقين ، ثم أشرف كوزراد بجموعه وضمق البقية الباقية من العريقين قتلاً وأسرًا ، وتضع الرواية تاريخ هذه الواقعة في سنة ٩٥٢ م ؛ ولكنها لا تبين لنا مكان حدوثها (١)

ومنذ منتصف القرن العاشر يأخذ نجم أولئك العرب المستعمرين الفانزين في الأفول ، وتضمحل سيادتهم في تلك الأنحاء ؛ بيد أنهم لبثوا بدي حين بعد ذلك يحتلون كثيراً من مواقع سافوا ؛ ويجوبون أنحاء سويسرا كلها في طلب القنينة والسبي . وقد اعتادوا على حرب الجبال وحذقوا أساليبها ؛ وبنوا في توغلم في سويسره مدينة سان جال على مقربة من بحيرة كونستانس ، وأنشأوا ثمة كثيراً من القلاع والأبراج التي مازالت تقوم منها إلى اليوم بمض الأطلال والبقايا ، ولبثوا حيناً في سان جال ، حتى حشد رئيس دبرها حوله جمعاً من المقاتلين الأشداء ، وفاقأوا العرب في جوف الليل وضمروهم قتلاً وأسرًا ، وبذلك خفت وطأة الغزوات العربية في شمال سويسرا

واستمرت الستمترات والمائل العربية في دوقنيه وبروقانس وبعض جهات الألب ؛ وكان قربها من « فركنيه » أمنع المعقل العربية عدداً بأسباب الجرأة والمون ، وبعدها قربها من البحر دامتلك بامتداد جديدة من المتطوعين والمغامرين من نفور الأندلس وأفريقية

في ذلك الحين كان أعظم أمراء النصرانية أوتوا الكبير (أوتون) ملك ألمانيا ، وكان أعظم أمراء الاسلام عبد الرحمن الناصر خليفة الأندلس ؛ وكان للناصر مع معظم أمراء النصرانية ، من امبراطور بزنطية الى ملوك الشمال والغرب ، علائق سياسية منظمة ؛ وكانت له مع أوتو الكبير علائق ومراسلات . فلما رأى أمراء

تأت أواخر القرن العاشر حتى ذهبت سيادة العرب في غاليس وسويسره ؛ ولم يجب أحد في أفريقية والأندلس صرخ الفوث الذي وجهه أولئك المستعمرون البواسل الى اخوانهم ، لأن الحوادث الداخلية لم تكن تسمح يومئذ يبدل هذا العون على أن ذلك لم يكن خاتمة الغزوات الاسلامية في تلك المياه ؛

في سنة ١٠٠٣ م ، سارت حملة بحرية من مسلمي الأندلس ، وزلت بجوار أنتيب في جنوب فرنسا ، واجتاحت الأراضي المجاورة . وفي سنة ١٠١٩ م ، زلت حملة مسلحة أخرى في ظاهر أربونة ، وحاولت أن تستولى عليها ؛ ولكنها هزمت وهزمت . وفي سنة ١٠٤٧ ، هاجت حملة أخرى جزيرة ليران الواقعة بالقرب من مرسيليا وأسرت عدداً من الرهبان . وظهر في ذلك الحين زعيم أندلسي جرى هو مجاهد العاصري أحد أمراء الطوائف ، وصاحب دانية وجزائر البليار ، واهتم بأمر الغزوات البحرية ، فسار في أسطوله إلى ميساه كورسيكا وسردانية ؛ وغزنا سردانية واحتل بعض أجزائها ، (سنة ٤٠٥ هـ - ١٠١٤ م) ، ولكن النصارى استردوها على الأثر^(١) ؛ ولبث مجاهد العاصري الذي تسميه الرواية النصرانية « موحيه » أو موسكتوس ، مدى حين سيد هذه المياه يث فيها بحملاته العر وروع

هذه هي قصة العرب والغزوات العربية في غاليس وبلاد اللونبارد وسويسره ، وهي قصة تنقل الرواية الاسلامية كثيراً من أدوارها ووقائعها ؛ ولكنها تشغل فراغاً كبيراً في الروايات الكنسية والفرنجية المعاصرة ، وهذه الروايات هي عمدتنا فيما تنقل من سير هذه الغزوات الشهيرة . ومن المحقق أنها مشبعة بروح التحامل والتحصومة في كثير من المواطن ؛ ولكننا نستطيع مع ذلك أن تبين منها أهمية الدور الذي قام به أولئك المجاهدون والمعمرون المسلمون في تلك الرواد والآكام الثابتة ، وما كان لهم بين هاتيك الأمم من السيادة والنفوذ مدى عصور

محمد عبد الله عناه
المهامي

« للبحث بقية »

حصناً في سسترون على مقربة من حصن كان يملكه العرب ، ولبث ينحين الفرص لمفاجأة العرب والاستيلاء على حصنهم ، حتى استطاع ذات يوم أن يحمل بعض الحراس على فتح الأبواب ، فتحت الحياة ، وباعت النصارى العرب في حصنهم ، وقضوا عليهم قتلاً وأسراً (سنة ٩٧٢ م)

وفي الوقت نفسه التف النصارى في دوفينه حول زعيم يدعى جيوم ، وهاجوا العرب في جميع مراكمهم وقلاعهم وضرقتهم في كل ناحية ، وبذا انهارت سيادتهم في دوفينه ولم تبق إلا في بروقانس . ولما قوى جيوم وكثر جمعه ، بسط نفوذه على بروقانس وتلقب بأقرب الأمارة ، واعتزم أن يخرج العرب نهائياً من تلك الأرض ؛ فدعا السادة لمعاونته ومنهم كونت نيس ، ورأى العرب أن العاصفة تنذر باجتياحهم من كل ناحية ، فاستجمعوا كل أهبتهم وقواهم ، ونزلوا من الآكام إلى البسيط في صفوف مترامة ووقعت بينهم وبين النصارى معركة هائلة في « تورتور » ؛ فهزم العرب ، وارتدوا إلى قلاعهم ، ولا سيما « فركنيه » التي غلبت ملاذهم الأخير ؛ فطاردهم النصارى أشد مطاردة ، وضيقوا الحصار عليهم ؛ فحاولوا الفرار تحت جناح الليل إلى الغابات المجاورة ، ولكن النصارى لحقوا بهم ، وأمعنوا فيهم قتلاً وأسراً وأبقى على من استسلم منهم ، وعلى السالمين الذين كانوا يجترفون الزرع في الضياع المجاورة ، وفر كثير من طريق البحر ، وتنصر كثير منهم ، وبقي نسلهم في تلك الأرض طويلاً

وهكذا سقط حصن « فراكنم » أو فراكنيه سنة ٩٧٥ م بعد أن لبث زهاء ثمانين سنة مركزاً قوياً للغزوات العربية في غاليس ؛ وقسمت أسلاب العرب وأراضهم بين السادة والجنود الذين اشتركوا في هذه الحرب الصليبية ، وانهارت سلطة العرب في تلك الأنحاء

أما المستعمرات العربية التي كانت مبعثرة في آكام الألب ، فيقال إنها طوردت وهزمت في نفس الوقت ، واعتنق الذين أسروا النصرانية ؛ ولكن توجد رواية أخرى خلاصتها أن هذه المستعمرات لبثت في معاقبتها نحو جيل آخر ، حتى تولى مطاردتها وسحقها زعيم يدعى جيرولدوس . وعلى أي حال فلم

٩ - خالد بن الوليد *

في حروب الردة

للفريق طه باشا الهاشمي

رئيس أركان الجيش العراقي

« لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها وما في يدي
شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة ، وهأتنا أموت على فراشي
كما يموت البعير ! فلا تات أعين الجناء »
خالد بن الوليد

ولا يخلو من الفائدة أن تقتبس هنا وصف المتر فلي الذي
تجول في هذه المنطقة في صيف سنة ١٩١٨ ، فدون مشاهداته في
كتابه « البلاد العربية الوهابية » (Arabia of Wahhabit) وقد
وصف قرية الجبيلة الواقعة بالقرب من قرية (عقرباء) التي دارت
رحى المعركة فيها بما يلي :

« والقرية الآن أهلة بمدد يسير من السكان البؤساء ، ومعظمها
أطلال دارسة ، ومقابر الصحابة على ضفة التربة القابلة للقرية
(أي الضفة اليسرى للوادي) وعلى مسافة نحو ربع الميل منها .
وقد يشاهد المسافر بقاعاً متفرقة مفروسة بأشجار الأثل (الطرفاء)
تسرى عن الزرع الانقباض الذي يعتريه من إدامة النظر إلى اللون
الأخضر الذي لا يتغير ، وهو اللون الدائم لتلك السهول الرسوبية
المرامية التي سدت الوادي . وبقرى الحى آبار كثيرة بعضها
مطوى بالحجارة يستقى منه أهل الحى دائماً . أما بيوت أهل الحى
فمعظمها أطلال من اللبن بلا خشب ، وقد عبت بها يد
البل ودرست آثارها الأيام . أما ما بقي منها فلا بأس بحاله ،
ويستدل منه على أن أهل تلك البيوت عنوا بصيانتها فدعموها
بأعمدة حجرية مشيدة بالجص لتحمل على متونها روافد السقوف .
وقد شاهدت في دارسها وعاء مزدوجاً كبيراً من الملائط المعطى
بطبقة رقيقة من الصاروج (الجص) الأصفر تخزن التمور ، ولا
ترال جدرانها ملونة بمصارة التمر » إلى الرب يقول : « ومعظم

(*) وهو بحث في قيم لا يضطلع بمثله اليوم فيما نعلم غير كتابه القائل
« الرسالة »

الجدران المبنية من الطين مؤزر إلى ما يقارب نصفه بإيادات من
الحجر الصلد مبنية على وجه الجدار بناء منحرفاً توخوا فيها
بساطة التزيين لا غير » . . . ويقول في وصف جبل طويق
والهضاب التي يشرف عليها : « أما ما استدار من الأرض حول
تلك المنطقة فلم أجد في حياتي أرضاً مثله ، فلم أعتري أرباضه على
شيء تنقبضه النفس ، فتجد أمامك طويقاً معرضاً لمهب الرياح ،
خالياً من الظاهرات الطبيعية ، ضارباً في كافة الجهات على غط
واحد لانهاية له ، ولا يعترضه في ذلك التكوين الغريب سوى
الحرف الطعن المسمى جبل صلبوخ الواقع إلى الشمال الشرق »
وعندما يبحث في أطراف عمينة عاصمة آل ابن معمر القدماء
وهي القرية الواقعة إلى غربي عقرباء ، في واد ضيق - يقول :
« أما ربوع عمينة التي اشتهرت في قديم الزمن بجملها وخصبها
فنبسطة على جانبي المسيل شرقاً وغرباً نحو ميلين ، وقد أمست
الآن قاعاً صفضاً وأثراً بعد عين ، ونبت أذغال الأثل في البقاع
التي وطئت أراضها وسهد تراها لغرس فئائل النخيل فيها . أما
البلد الأصلي أو الحلة التي كانت يوماً موطناً لآل ابن معمر فلا تختلف
عما كان حولها من الربوع الضاربة في صدر تلك الحلة الرميحة ،
إلا أن أطلالها الشاخنة قد سفلت بقعة وسيمة ، وبمرعاب المسيل
في تلك البيداء بين آونة وأخرى بأطلال البنيان القديم كالعمد
المزوقة رؤوسها . وفي كل ناحية من نواحي تلك الحلة الوسيمة
آبار نضب عنها الماء وهي مطوية بالحجارة والآجر وعليها أحواض
مبنية بالصاروج ، أما ضفاف المسيل فدعمة بإيادات كالسنيات
على أشد ما تكون من متانة البنيان ، عقدها أحجارها في وجه
السيل من زمن بعيد لحبس المياه في بطن المسيل . فرحلوا عنها
وتركوها وشأنها فعبثت بها يد الدهر فتداعت جدرانها وتقوض
بنيانها المحكم ثم غدت تراباً فوق أنقاض بالية . وشاهدت في
بعض تلك الجدران حجارة كبيرة من الصخر الصلد طول الحجر
الأواحد قدمان في عرض نصف قدم » إلى أن يقول . « جزنا
الأطلال وخرجنا من عمينة الخربة وسلكنا طريقاً يخرق أشجار
الأثل في عنقوان غوها . والمنتشرة في طول الأرض وعرضها إلى
أن تنتهي في طرف الحلة القائمة في الناحية الغربية فولينا وجوهنا
شطر المغرب صاغدين الوادي . فسار بنا الظن بطوى صوحه
صعوداً . وعرض الوادي في أسفله (أي في عميقه) نحو الميل ،

بخمسة عشر ألف مقاتل - بمعنى أن الحد الأقصى للقوة التي يستطيع الحنفيون سوتها لا يجاوز العدد المذكور . والذي يلوح لنا أن القوة التي جمعها مسيلة في عقرباء تبلغ عشرة آلاف مقاتل .

قوة المسلمين

يروى الواقدي أن جيش خالد بلغ أربعة آلاف مقاتل في معركة عقرباء . وفي رواية أخرى تسند إلى عيسى بن سهل أن الجيش الذي تولى قيادته خالد لما خرج من المدينة كان بقوة أربعة آلاف مقاتل ، وهذا الجيش حارب في اليمامة . والذي لا ريب فيه أن قوة جيش المسلمين بلغت أربعة آلاف مقاتل لما تركت الربذة وتقدمت نحو براحة وانضمت إليه قوات من بني طي قبل المعركة .

ثم زاد هذا الجيش بعد إسلام قبائل بني أسد وعطفان . ولعل قوته بلغت أكثر من خمسة آلاف لما نزل في البطاح . ومن الثابت أن جماعات من بني تميم انضمت إليه قبل أن يتوجه نحو اليمامة . وتروى لنا الأخبار أن الخليفة أبابكر أمد الجيش بقوات من المدينة لما كان محتشداً في البطاح ، وأن خالد سبق هذا الامداد من المدينة وانتظر وروده من البطاح . فجميع هذه الأخبار تدل على أن جيش المسلمين تضاعفت قوته بانضمام القبائل ووصول التجدة إليه قبل أن يتحرك من البطاح نحو اليمامة .

وكان من البديهي أن تلتحق به القبائل التي اتصل بها خبر خيرات اليمامة ووفرة الغنم فيها .

ويلوح لي أن قوة الجيش بلغت أكثر من ستة آلاف قبل حركته من البطاح

الموقف قبل المعركة

لبي خالد أمر الخليفة فذهب إلى المدينة ليدافع عن عمله في قضية مالك بن نويرة ، وفي رواية لسيف بن عمر أن أبابكر أرسل عكرمة بن أبي جهل إلى اليمامة لما كان خالد يحارب المرتدين في براحة وأمده بقوة أخرى بقيادة شرحبيل بن حسنة . والرواية تزعم أن عكرمة بدأ القتال قبل وصول شرحبيل فنكسب . فأقام شرحبيل في الطريق حيث أدركه الخير . وهذه الرواية تؤيد زعم سيف في أن الخليفة قسم جيش المسلمين في ذى القعدة إلى إحدى عشرة فرقة ، وعين قائداً لكل منها فوجهها إلى مناطق المرتدين . وقد سبق أن بينا فساد هذا الزعم . وفي رواية أخرى أن شرحبيل

وكلبا ارتقى الانسان صوح الوادي وارتفع عن عقيقه ازداد انفراج الوادي الى أن بلغ عرضه ميلين أو ثلاثة اميال . ولما أرسلت رائد الطرف في ميمنة الوادي بدال شبيب في منخفض الوادي ، وقد قيل لي إن هذا الوادي يأخذ في الصعود مرة أخرى الى حوض عظيم كسيت جدرانه بالصاروج ، يقع على سفح التل لحبس مياه الأمطار والثعاب المنحدرة على جوانبه ، ولم يزل حتى الآن خزاناً لرى حقول القمح المزروعة في وسط الخرائب . وهناك شبيب آخر الى عين طريقنا يقال له شبيب عينة ينحدر من الهضبة الضيقة التي تفصل وادي حنيفة عن وادي سدوس »

قوات الفريقين

برغم كثرة الروايات التي تتناول حركات اليمامة والقتال في عقرباء نجد الفموض ظاهراً في معرفة قوة الفريقين .

فالطبري يذكر تقلاً عن سيف بن عمر أن القوة المحاربة لدى قبائل بني حنيفة بلغت أربعين ألفاً . ولما ذكر أخبار السنة الحادية عشرة الهجرية نقل عن ذلك الراوي نفسه ، وزعم أن القوة المحاربة بلغت عشرة آلاف . أما ابن جبير فيذكر في رواية نقلها عن الواقدي مفادها أن قوة المسلمين بلغت أربعة آلاف ، وقوة بني حنيفة أيضاً بلغت هذا المقدار ذاته . وفي رواية تسند الى سيف بن عمر يزعم الراوي أن عدد القتلى من بني حنيفة بلغ عشرين ألفاً

أما المؤرخ الفارسي ميرخوندي فيزعم أن عدد القتلى في تلك الموقعة بلغ سبعين ألفاً ، والذين قتلوا في حديقة الموت بعد المعركة بلغ عددهم سبعين ألفاً . ولعلك أدركت أنه يصعب الوصول الى عدد يقرب من الحقيقة بين هذه الروايات التي تقدر قوة الحنفيين بين أربعة آلاف وأربعين ألفاً ، وعدد القتلى منهم بين عشرين ألفاً الى مائة وأربعين ألفاً

ولكن الثابت أن مسيلة جمع أعظم قوة لمقابلة جيش المسلمين ووضعها على الحد الفاصل بين بلاد حنيفة وبلاد بني تميم وترك القرى العامرة وراءه . وكان من مصلحة الحنفيين أن يجتمعوا تحت لواء رئيسهم للدفاع عن حيهم الذي تركوه وراء ظهورهم ، ويظهر من مجرى المعركة أن عدد القتلى في قوة الحنفيين كان كبيراً

لقد قدرنا جيش بني حنيفة عند البحث في قوات الفريقين

الواقع إلى شرق الحبيبات بين خشم الحبيسة وخشم الخرشنة وفيه تنقسم مياه الأمطار ، فمنها ما يصب إلى الشرق ويجرى في وادي حنيفة ومنها ما يصب إلى الغرب ويجرى في بطن الحور ومن جملة الأسباب التي تجعل خالدًا يميل إلى سلوك الطريق الغربي قربه من قاعدة الحركات أي المدينة . فإذا ما نكسب الجيش يصل إليه المدد من خلفه ، وإذا ما تضايق يستطيع الانسحاب إلى المدينة أو إلى مكة من بلاد أسد وغطفان ، أو من بلاد بني عامر وهوازن . لذلك نجزم بأن جيش المسلمين سلك ذلك الطريق في مسيره نحو الحيمة

معركة عقرباء

بقينا أن معركة عقرباء من المارك الفاصلة التي ختمت دوراً وفتحت دوراً آخر . فالسلمون جمعوا أقصى قوتهم بقيادة أمر قوادهم . والمرتدون حشدوا أعظم قوة في استطاعتهم جمعها في أوعر منطقة . فنجري المعركة يدل على الغاية التي كان يستهدفها كل من الفريقين

فلو انكسر السلمون ، لاسمح الله ، في هذه المعركة ، لبقى العرب منزوين في جزيرتهم ، واحتفظ الأكرسة بملكهم في العراق ، ولم يلك هرقل ضياع سورية . فالتى الكاذب أسود العنسى الذي سيطر على اليمن مدة من الزمن قتل غيلة ، فلم يضطر السلمون إلى حشد قوة كبيرة للتغلب عليه . أما بنو أسد فلم يكن من الصعب التغلب عليهم لتفرق كلمة القبائل . بيد أن في عقرباء احتشدت أعظم قوة من أمة قبيلة في أرض مستحكمة ، وكان الناس يقاتلون عن جبههم ، ويتعاونون في شبل قبيلتهم

ولما انتهت المعركة بانتصار المسلمين انكسرت مقاومة المرتدين في الأقطار الأخرى ، ولم يلاق السلمون صعوبات في تمكين الاسلام من قلوب أهلها ، فخصمت البحرين ، ودانت عمان ومهرة بدين الاسلام ، وجنوت حضرموت إسلامها ، وبعازت اليمن إلى حظيرة الاسلام . وكان من أزدك أن اجتمعت كلمة العرب فشمروا بقوتهم فبادروا إلى الفتوح بقيادة رؤسائهم ، فاندفعوا كالسيل الجارف يثلون العروش ويقضون على امبراطورية الأكرسة ودولة القياصرة ، فلم يمر بضع سنوات على ذلك حتى كان العرب يصولون بجيولهم في بلاد خراسان شرقاً وبلاد المغرب غرباً

طه الهاشمي

تبع

ابن حسنة الذي تلقى أمراً من الخليفة بأن ينتظر ورود خالد ولا يتحرك بادر إلى قتال مسيلة قبل قدوم خالد فنكسب وانسحب . وإذا صححت هذه الروايات يلوح لنا أن عكرمة بن أبي جهل كان يراقب الحيمة بقوة سارة من المسلمين لما وقف خالد في البطاح ، فوقعت مناوشات بينه وبين الحنفيين حطت مساعيه فيها فانسحب . أما شرحبيل بن حسنة فإنه تولى قيادة جيش المسلمين عند ذهاب خالد إلى المدينة . فبدلاً من أن ينتظر ورود خالد أسرع إلى مقاتلة الحنفيين فانكسر

ولما قدم خالد البطاح كان جيش المسلمين مرابطاً فيها ، وكانت قبائل بني تميم عرضت الولاء إلا البعض منها فالتجأ إلى الحيمة . وكان بنو طيء وبنو أسد وبنو غطفان وبعض بني تميم أمداو جيش المسلمين بالمقاتلين

أما مسيلة فإنه جهز عدداً كبيراً من بني حنيفة وتقدم شمالاً يريد مقابلة جيش خالد . وتدل الأخبار على أن بعض الحنفيين كان يخبر المسلمين سرّاً ويطلع خالدًا على موقف مسيلة . ومن الروايات ما يؤيد أن الحنفيين الذين حافظوا على إسلامهم تحفزوا للشغب على مسيلة

الطريق الذي سلكه خالد

هناك طريقان للتقدم من البطاح نحو الحيمة : طريق شرقى وطريق غربى . أما الطريق الشرقى فيتجه شرقاً أولاً ثم يمتد إلى سفح جبل طويق الغربى متوجهاً إلى الجنوب الشرقى ماراً بالأرض الجبلية ، وهو الطريق الذي يصل بريدة بالزلفى ثم يمتد إلى الجمعة ومنها إلى الحوطة فنادق فسدوس ؛ أما الطريق الغربى فيتوجه نحو الجنوب الشرقى فيمر بين نفود السر ونفود الشقيقة إلى أن يصل إلى الشقرة عاصمة الوشم ومنها يمتد موازياً لسفوح جبل طويق الغربية فينعطف نحو الشرق ويتسلق الجبال ويمر بثنية الحيمة حيث ينبع وادي حنيفة في غربى عينة فينتهي في عقرباء ويدخل الحيمة .

والذي يلوح لنا أن خالدًا سلك الطريق الغربى لاجتيازه أرضاً سهلة تجعل المدينة في ظهره . أما الطريق الشرقى فيخترق أرضاً جبلية وعرة . وقد تمرقل عليه السير إذا أراد أهلها المقاومة فضلاً عن أنه طويل

ومن الأخبار ما يبنى بأن طليمة جيش المسلمين باغتت بعض رجال مسيلة في ثنية الحيمة — أى في عقبه الحبيسة وهو الضيق

١٥ - الرواية المسرحية

في التلخيص والقص

بقلم أحمد حسن الزيات

تمة

الغنائية (L'opéra)

الغنائية:

الغنائية هي درامة شعرية جديّة أو هزليّة تؤلّف من الغناء والانشاد وتأتي الحوار الكلاسيكي، وتقبل الحوار كالأشباح والأرواح والهواتف، وتوقع على أنغام الموسيقى، وتختلط أحياناً بالرقص، وتعني كل الغنائية بالزينة والرياش. وهي غاية ما وصل إليه الجمال الفني والذوق الانساني، لأنها تجمع الفنون الجميلة. ومظهر الآداب الجليلة ومتعة النفوس ولذة الحواس بما تفيضه على الميوز والآذان والأذهان من جميل الصور وحلو النغم ورائع الشعر، بله ما تقتضيه من كمال الفن الآلي (mécanique) لأحداث الحوار وتغيير المناظر. فهي ولا ريب أفصح الألسنة إبانة عما بلغت القرائح من النبوغ وأدركته الفنون من النضوج في عصرها الذي مثلت فيه

على أن قوام الغنائية وفروعها هو الموسيقى والمناظر، فهي تنزل الكلام والحادث والتعقيد في المحل الثاني منها. لذلك لا نجد كلامنا عنها إلا إجمالاً يكاد يقفك عند التعريف والتقسيم. وقبل أن نأخذ في تقسيم الغنائية يحسن بي أن أنقل إليك ما قاله في هذا الصدد الفيلسوف ابن رشد في تلخيصه كتاب الشعر لارسططاليس. وما قاله لا يدخل في موضوعنا إلا من الباب التاريخي. وهذا اللغز قد طبعه الأستاذ المستشرق (لاريجو) بمدينة فلورنسا سنة ١٨٧٣ قال: (المحاكاة في الأقاويل الشعرية تكون من قبل ثلاثة أشياء: من قبل النغم المتفق، ومن قبل الوزن، ومن قبل التشبيه نفسه. وهذه قد يوجد كل واحد منها منفرداً عن صاحبه مثل وجود النغم في الزامير، والوزن في الرقص، والمحاكاة

في اللفظ، أعني الأقاويل الخفيفة الغير موزونة. وقد تجتمع هذه الثلاثة بأمرها - مثل ما يوجد عندنا في النوع الذي يسمى الموشحات والأزجال، وهي الأشعار التي استنبطها في هذا اللسان أهل هذه الجزيرة أي الأندلس)

ولا مزية في أن أعاريض الموشحات والأزجال أنسب لنظم الغنائيات من سائر بحور الشعر لحلاوة نغمها وسهولة ترتيبها وتنوع قوافيها

فالغنائية تنقسم باعتبار تلحيثها إلى أجزاء منفردة لك دون أن تعرض لها، لأنها ليست من شأننا ولا مما يدخل في علمنا.

وهي الافتتاح، والمقدمة، والانشاد، والألحان، والثاني، والثالث، والرابع، والخامس، والخورس، والختام في نهاية كل فصل.

فالافتتاح ما يسبق رفع الستار، والمقدمة ما يهيء للعمل، والانشاد نوع من الغناء يحل محل الحوار الكلاسيكي دون أن يتقيد بوزن،

والثاني والثالث والرابع والخامس قطع يزدوج فيها الصوت أو يثلاث أو يربيع أو يخمس، والخورس ما فوق ذلك. على أن

اجتماع هذه الأجزاء ليس ضرورياً ولا جوهرياً. فالملحن يستطيع أن يقفل منها ما لا يتفق مع الرواية

ثم تنقسم الغنائية باعتبار تأليفها إلى غنائية جديّة، وهي ما كان موضوعها سائياً وعملاً رائعاً وأداؤها غنائياً كله. فلابحيز الحوار

التحرى وإنما تستبدل به الانشاد، وغنائية هزلية وهي ما تجيز الحوار التحرى في خلال القطع الغنائية

الغنائية: الجديّة (L'opéra serie)

ليس من اليسير أن نجد لهذه الغنائية تعريفاً جامعاً لتنوعها وتفرعها، واختلاف الرأي فيها بين الفرنسيين والاطالين؛ فإن

لكلا الشصين نظرية فيها سار عليها ودعا إليها. ولعلنا إذا ذكرنا النظريةتين نستطيع أن نقف منهما على موضوع الغنائية ومداهما

فالنظرية الفرنسية زعيمها (كينو) وهي منبئية على تقليد اللوحة في استعمال الحوار والأعاجيب وتنوع المناظر وتعدد الصور،

ونقل كل ذلك إلى عين الناظر كما تنقله اللوحة إلى ذهن القارى. وقد يكون التأليف كله محتفظاً عربياً، ولكن في هذا الاختلاق

اتفاقاً واتساقاً تنتج منهما الحقيقة؛ كما أن الموسيقى تظهر جمال الحوار، والحوارات بين إمكان الموسيقى. فانت في جو جديد يجمع

بين عالم الغيب وعالم الشهادة، ويضيف إلى جمال الخيال بحر

العمل الروائي . ومنشأ هذا النوع كان في مستهل القرن السابع عشر ، ظهر أولاً في شكل ملهاة غنائية كانت تمثل في سوقين شهيرتين : (سان جرمان) و (سان لوزان) . ثم أخذ مع الزمن يقترب من الغنائية الجدية بتقليب جانب الموسيقى والثناء حتى لم يبق بينهما اليوم إلا فروق سطحية شكلية أهمها الأسلوب الفكاهي . فاطلاق هذا الاسم على الغنائية التي لانصيب للزجل فيها اطلاق غير صحيح ، لأن الغنائية إنما وضعت في الأصل للدلالة على كل عمل موسيقي ، ولا سيما العظيم الجدى منه . فإضافتهم صفة الهزل (Comique) إليها دليل على أنهم يريدون بها عملاً أقل في العظمة ، وأقرب من الهزل ، وأقبل للحوار النثرى . ويؤيد هذا الرأي أن الغنائية الهزلية أو الأبراكوميك سائلة المهزلة (الفودفيل)^(١) ولا يفرق بينهما إلا أن ألحان المهزلة كلها معروفة بألوفه من قبل ثم تقتبس لأوزان جديدة تؤلف للرواية . أما ألحان الغنائية الهزلية فهي مصنوعة لأوزانها خاصة ، ولذلك كان شعرها يحكم الرصف بديع الوصف ، يقوم عليه الشطر الأكبر في نجاح الرواية وغبرت الغنائية الهزلية حقبة من الدهر وهي خاصة لسطان

المهزلة فلا تستطيع أن تتجاوز مداها ، ولا أن ترتفع عن مستواها ، وإنما كانت تستعير أساليبها الحية ، وأبناشدها الطلية ، حتى جرؤ اللحنون على أن يطلبوا إلى المؤلفين أن يوسعوا الدائرة القديمة ، وأقدموا هم أيضاً على ابتكار ألحان جديدة ، واقتباس بعض الثاني والثالث والأشكال من الغنائية الجدية مادامت تتصل بها وتعلق بسببها . فلما صارت الغنائية الهزلية فناً أدبياً

(١) تطلق هذه الكلمة اليوم على ملهاة صغيرة تافهة للوضع محكمة التقيد ، هزلية الأسلوب ، لاتخرج من إرسال النكتة المذمعة . وقد تشتمل على بعض الأصوات الغنائية استبقاء لأثر الماضي وخصائص الأصل . فقد قالوا في بدء تكويتها إن (أوليفيه باسلين) من أهل (فير) وهو واد في (ترمانيا) نظم سنة ١٤٥٠ أغاني هجائية ذاعت في وادي فير فسيت بذلك فود فير (Vau de vire) أى (وادي فير) ثم نزلت عن منبتها ومكان نشأتها فنصف الاسم إلى (فودفيل) . وفي مستهل القرن الثامن عشر أدخلوا هنا النوع من الأغاني المذمعة في ملاء كانت تمثل في الأسواق ونسى (ملامح مع الفودفيل) ثم اقتصر على اسمها على الفودفيل ، وكانت حيثئذ كلها شراً يبنى على أنغام مرروفة من قبل لم تصنع لها خاصة حتى دخلها الحوار النثرى فصار أشبه بالغنائية الهزلية لا يميزها منها إلا الفرق الذي مر بك عند الكلام عن هذه الغنائية . ثم نقل بها الزمن ما نقله بإثر الأتباع فنشذب أطرافها ، وهذب إسفافها ، حتى ردها إلى التصريف الذي بدأنا به هذه الكلمة

الطبيعة ، وذلك كله يميز في انسجام والثناء ودقة . أما العمل الروائي فواضح سهل عقده وحله ، والحوادث يتوالد بعضها من بعض ، والأهواء رقيقة تشتد حيناً ثم ترق ، والأخلاق ساذجة ، والمناظر متنوعة ، والجازبية قوية مؤثرة ، ولكنها تتراخي أحياناً فتخفف عن الأعصاب وترفه عن النفوس

تلك هي غنائية (كينو) ونظريته : يجمع كل ما يستطيع من الوسائل ليخلب السمع ويبهز البصر ؛ وهو لذلك يستمد موضوعاته من الأساطير والسحر ، فيملأ المسرح بالأعاجيب والصور ، ويهيئ لنفسه الانتقال من الأرض إلى السماء ومن الجنة إلى النار . مهيمناً على الطبيعة مستولياً على الوهم فاتحاً للمأساة طريق الملحمة ، ليجمع بين فضائل النوعين ، ويوفق بين سرى القصيدتين ومزية هذه الطريقة الخوافية أن تكفى الشاعر مؤونة التفضيلات الدقيقة التي تطلبها الحقيقة ، فإن الموضوعات التاريخية تقتضى جلاء الغامض وتلميل الحوادث وتقريب البعيد وإمكان التحليل

أما النظرية الإيطالية فرعيمها (ميتاستاز) وهي مبنية على محاكاة الطبيعة وتوخى التأثير والبلوغ بالمحزرات الفواجم إلى حد لم تبلغه المأساة . فهو يكسو الأفق بالسواد ، ويصبغ المسرح بالدم ، ويسرع بحركة العمل وهو متفرق في الإشارة والأنازة بروعة الأداء ورحمة الهوى . وفضل هذه النظرية على الأولى ظاهر في قوة الأثر ودقة المواقف وجمال الحقيقة ومهولة الامكانية . لذلك عنى الشعراء والموسيقيون بالتوفيق بين النظريتين والجمع بين الطريقتين ليدركوا مزايا هذه وتلك . فهم يمزجون الصور العجيبة بالرهية ، والمواقف الطريفة بالعنيفة ، والمناظر التي تسحر العين بالتى تخلب القلب

على أن الغنائية ليست مقصورة على الحوار والمحزرات ، وإنما تتناول الأناقة الحضرية والحياة الريفية والخلق الفكاهي والهزل المضحك ، على شرط أن يتسق كل ذلك في طبيعة حية وحرارة قوية وتنوع جاذب

الغنائية الهزلية (L'opéra comique)

أما الغنائية الهزلية فاسم يطلق اليوم على درامة جدية الموضوع فكها الأسلوب ، تخلط الغناء الشعري بالحوار النثرى ، وتعنى بتعميق

١ - محاورات أفلاطون

معذرة سقراط

ترجمة الأستاذ زكي نجيب محمود

محمّد

كان أفلاطون فيلسوفاً فناناً على بمد ما بين الفن والفلسفة ، فقد دون آراءه كلها في أسلوب الحوار الذي بلغ من الدقة والجمال حداً وضعه في أسمى مراتب الفن . ونحن إذ نتقدم الى القراء بهذه الترجمة لمحاوراته ، إنما نلتبس المعفو عما قد تصاب به تلك الآيات البيّنات من تشويه . على أن القارىء إذا فقد جمال الأسلوب فلن تضيع منه باذن الله دقة المعنى وأمانة النقل

وهذا الحوار الذي ترجمه لك اليوم ، كتبه أفلاطون ليصور به دفاع سقراط عن نفسه يوم محاكمته بتهمة الآحاد وإفساد الشباب . ولنا ندرى الى أى حد تطابق هذه الصورة الأفلاطونية

وعملًا روائياً حقيقياً أصبح الكاتب يضع روايته حرماً من كل قيد ، ثم يدفعها الى اللحن فيختار لها فكرة موسيقية تقوى التعبير عن الغرض . وهم اليوم يحلون الى تقليل الحوار وتكثير الغناء ، ورد هذا النوع الى شكل لا يكون معه إلا درامة غنائية وملهاة غنائية لا يدخل فيها ما ليس منها حتى لا يقول فيه القائلون اليوم إنه نوع مزيف ، وحتى لا يصفه (نيوفيل جونيه) « بأنه سفيح قبيح ، قد خلط بين وسيلتين متباينتين من وسائل التعبير ، فجعل المثلين يسيئون الغناء بحجة أنهم ممثلون ، والنئين يسيئون التمثيل بحجة أنهم مغنون » .

على أنه بالرغم من هذا النقد الوجيه يستحق العناية والتأييد ، لأنه سبب وأصل بين ذوق العامة وذوق الخاصة ، ودرج صاعد بالجمهور الى الفن الموسيقى فيرفهه من حضيض (الثودقيل) الى أوج (الأبرا).

وهنا نقف القلم معتقدين أن فيما بسطناه من قواعد الفن الدرامي بلاغاً للكاتب الناشئ وسداً لنقص البيان العربي في هذا الباب

الزيات :

الحقيقة الواقعة . هل احتفظ أفلاطون بألفاظ سقراط نفسها أو ما يقرب منها ؟ أم أنشأها لإنشاء ليعبر بها عما كان يجب أن يكون من سقراط في دفاعه ؟ أم هي قصة جمعت بين الطرفين ، فأثبتت ما قيل وأضافت اليه ما كان يجب أن يقال ؟ وسواء أكانت هذه أم هذه أم تلك ، فهي على كل حال تصور روح سقراط في الحديث تصويراً دقيقاً ، وتحلل نزعته تحليلًا بارعاً ، فلا يسع القارىء وهو يقرأ هذا الحوار الذي ديجته راعة أفلاطون إلا أن يعتقد اعتقاداً

جزماً بأنه إنما يتلو عبارة تحركت بها نفس سقراط وجرى بها لسانه ؛ فشخصيته بارزة في كل سطر من سطره بروزاً لا يخطئه النظر ، فأنت ترى لمحات من التهكم اللاذع الذي امتاز به سقراط في حديثه ، وأنت تلاحظ روح التحدى جلية واضحة ، والتحدى طابع معروف في شخصية سقراط . وسنرى كذلك في هذا الحوار تفككاً فلا تتصل أجزاءه بصلة من منطق قوى ، فكأنما أراد أفلاطون بهذا أن يكون أميناً في الصورة التي يقدمها عن سقراط ؛ فسقراط لم يكن في حياته بمعنى بمنطق الحديث . فهو إذا بدأ حواراً مع آخر لا يلبث أن يشدبه باستطراده من ناحية ، وبالأستلة العرضية التي يطرحها مناقشوه أثناء الحديث من ناحية أخرى ، فيخرج الكلام آخر الأمر ، وليس فيه وحدة تربط أوله بآخره

وقد تعتمد أفلاطون في هذا الحوار أن يسوق إلى القارىء أبرز ما حدث لسقراط في حياته ليكون عنه فكرة متصلة ، وقد كان أفلاطون في ذلك قديراً ماهراً ، حتى لا يكاد يشر القارىء أن تلك الحوادث أضيفت إضافة مدبرة ، بل جاءت عفواً كما اقتضى منطق الحديث

يبدأ سقراط في هذا الدفاع ، أو إن شئت تعبيراً دقيقاً نقل

يبدأ أفلاطون في دفاعه عن سقراط ، بأن قسم التهمين الى قسمين : -
الرأى العام من ناحية ، وطائفة من الأشخاص الناهين من جهة أخرى ؛ ثم يلخص للقضاة فقط الاتهام ، وأخذ يفندها واحدة فواحدة . وعلى الرغم من هذا فقد حكم عليه بالموت . ولما طلب اليه أن يقترح حكماً - كما جرت بذلك عادة القضاء الأثيني - لتقف المحكمة موقفاً وسطاً بين الحكيم ، أجاب في تهكم لاذع وحكمة نادرة . وانتهى الأمر وقضى عليه بالموت

نص المرار

لست أدري أيها الأثنيون كيف وقعت من نفوسكم خطبٌ
 منهيٌّ، أما أنا فقد أحسست لكلماتهم الخلافة أترأ قوياً أنسيت
 معه نفسي، ولأنهم لم يقولوا من الحق شيئاً. ولشد ما دهشت
 إذ ساقوا في غمر باطلهم نذيراً لكم أن تكونوا على حذر فلا
 تخدعكم قوة فصاحتى. يا خجلتهم مما زعمون! فإذا نبئتُ بنبت
 شفة نهضت لكم دليلاً على عي لساني واقتضح أسرم، وأنهم
 بذلك عالون، ولكنهم يمارون ولا يحجلون. أم تراهم يطلقون
 الفصاحة على قوة الحق؟ إذن لأشهدت أنى مصقع بليغ. ألا
 ما أبعد الفرق بينى وبينهم! فهم كما أنباكم لم ينطقوا كلمة صدق
 ولم يقولوا الا كذباً، أما أنا فخذوا الحق منى صراحة، ولن
 أصوغها عبارة منمقة كما فعلوا، ولكنى سأسوق الحديث اليكم
 عفواً ساعته، ولست أشك في أنه الحق. فلن أقف يوماً بينكم
 أيها الأثنيون موقف الخطيب ما دمت حياً، فلا يرجن الآن
 أحد منى خطاباً، ولعللى أظفر منكم بهذا الفضل: إن جاءت في
 فى دفاعى كلمات قلتها من قبل، وسمعتها بعضكم فى الطريق أو عند
 موائد الصيارفة أو فى أى مكان آخرى، فلا تدهشوا ولا تقاطموا
 الحديث، لأننى أقف — وقد نيفت على السبعين عاماً — للمرة
 الأولى فى ساحة القانون، فلم آلف هذا المكان، ولم أتعود تقاليده
 وطرائقه، فانظروا الى نظركم الى الغريب تلتمس له العذرة لو
 جرى لسانه بلغة قومه ولهجة وطنه. وما أحسبني بذلك أطلب
 شططاً، فدعكم من عبارتى وقبحها، وانظروا فى عدالة القضية
 وحدها، وإذا حكم منكم قاض فليحكم بالعدل، وإذا نطق منكم
 فلينطق بالحق

ولأبدأ أولاً برد اتهام الطائفة الأولى من المدعين^(١)، ثم
 أستطرد الى دعوى الفريق الثانى؛ فلقد أهمنى من قبل نفر كثير،
 ولبثت دعوائهم الباطلة تتردد أعواماً طويلاً، ولانى لأختبأهم أكثر
 من هذا الرجل (أينس) وعصبته، وإن كيدهم لعظيم، وليكن
 أولئك الذين نهضوا اذ كنتم أطفالاً فلكوا ألبابكم بأباطيلهم لأشد
 من هؤلاء خطراً، فهم يمدونكم عن يمينى سقراط أنه حكيم
 يسبح بفكره فى السماء، ثم يهوى به الى الغبراء، وأنه يخلع على
 الباطل رداء الحق. أولئك هم من أخشى من الأعداء، فقد

أذاعوا فى الناس هذا الحديث، وما أسرع ما يظن الدهماء أن
 هذا الضرب من المكرين كافر بالآلهة. كثيرون هم أولئك
 المدعون، ودعوائهم قديمة العهد، ونشروها حين كنتم فى سن
 الطفولة أو الشباب ألين انظياعاً. ولم يكادوا ينطقون بالدعوى
 حتى انطلقت تحمل عني فى ذيلها السوء دون أن تجد لها مفنداً.
 وأهول من ذلك كله أن لبثت أسماؤهم مجهولة لا أعلمها لولا ذلك
 الشاعر المازل^(١) الذى ساقته الظروف. ولأنه لمن الميسر أن
 أحدث الى أشخاص هؤلاء الهجائين الذين نفذوا الى نفوسكم
 بما يحملون من ضغينة وحقد، صدر فيها بعضهم عن عقيدة، ثم
 ألقوا بذورها فى قلوب الآخرين؛ فلا أستطيع أن أدعوم الى
 هذا المكان لأستجيبهم، فأنا ان دافعت الآن فأنما أدافع أشباحاً،
 وأستجيب حيث لا يجيب. ولانى لأرجو أن تقبلوا ما فرضته
 لكم من قبل بأن الأعداء صنفان: طائفة حديثة العهد وأخرى
 قديمة، وأحسبكم ترون صواب رأى فى أن أبدأ بالرد على هذه
 الطائفة الأخيرة، فدعواها أقدم عهداً وأكثر تردداً

ويعد، فما كم دفاعى، ولعللى أستطيع فى هذه البرهة القصيرة
 التى تفضلتم بها على أن أمحوشائمة السوء التى قرت عني فى أذهانكم
 طوال هذا الزمن، وعسى أن أصيب توفيقاً إن كان فى التوفيق
 خير لى ولكم، ولعل كلماتى تصادف منكم قبولاً حسناً. فأنا
 علم أنى مقدم على أمر عسير، وانى لأقدر مهمتى حق قدرها،
 فليقض الله بما يزيد. وما أنذا أبدأ دفاعى طوعاً للقانون

واستهل الحديث بهذا السؤال: أى ذنب جنيت حتى حامت
 حولى الشبهات فاجترأ مليتس أن يرفع أمرى للقضاء؟ ماذا يقول
 عني دعاة السوء؟ ها كم خلاصة ما يدعون: «قد أساء سقراط
 صنماً، وهو طمعة يصعد البصر الى السماء وما تحوى، ثم ينفذ به
 تحت أطاق الترى، وهو يلبس الباطل ثوب الحق، ثم إنه يبت
 تعاليمه فى الناس» تلك هى جريرتى، وقد شهدتم بأنفسكم فى ملهامة
 أرسطوفان كيف اصطنع شخصاً أسماه سقراط جعله يجول قائلاً إنه
 يستطيع أن يسير فى الهواء، وأخذ يلفو فى موضوعات لا أزع
 أنى أعرف عنها كثيراً ولا قليلاً — لست أقصد بهذا أن أسىء
 الى أحد من طلاب الفلسفة الطبيعية — ولكن شدة ما يسوؤنى

(١) يقصد به أرسطوفان الذى مثل بسقراط فى روايته «الغلاب»

أن يتهمني بها ملبس . أيها الأنثيون ! الحق الصراح أني لا أتصل بتلك الدراسة بسبب من الأسباب ، ويشهد بصدق قولي كثير من الحضور ، فاليهم أحكم . انطقوا إذن يا من سمعتم حديثي وأنبتوا عني حيرانكم ، هل تحدثت في مثل هذه الأبحاث كثيراً أو قليلاً ؟ أنصتوا إلى جوابهم لتقطعوا بصدق مما يقررون

أما القول بأن معلم أتقاضى عن التعليم أجراً فباطل ليس فيه من الحق أكثر مما في سابقه ، على أنني أجد العلم المأجور إن كان معلماً قديراً . فهؤلاء جورجياس الليونتي (Gorgias of Leontium) وبروديكوس الكيوسي (Prodicus of Ceos) وهيباس الاليزي (Hippias of Elis) يطوفون بالمدن يحملون الشباب على ترك بني وطنهم الذين يعلمونهم ابتغاء وجه الله ليسموا بهم ، فلا يؤجرونهم وكفى ، بل يمدون لهم ذلك الفضل العظيم . ولقد أتاني نبأ فيلسوف من بارا يقيم في أثينا ، حدثني عنه رجل صادفته ، قد بذل للسوفسطائيين مالاً طائلاً ، هو كالياس بن هيونيكوس . ولما أتاني أن له ابنين سألته : لو كان ابناك يا كالياس حمارين أو بقرتين لما شق عليك أن تبيع لهما مدرّباً ، فما أهون أن تستخدم مدرّب الخيول أو فلاحاً بقومهما ويبلغ بهما حد الكمال في حدود فضيلتهما ، ولكنهما إنسانان من البشر ، فمن ذا فكرت أن يكون لهما مؤدّباً ؟ أعت من يدرك فضيلة الانسان وسياسة البشر ؟ حدثني فلا بد أن تكون قد تدبرت الأمر مادمت والدناً . فأجاب : « نعم وجدت . فسألته : من هو ذا وأين موطنه وكم يؤجر ؟ فأجاب هو أقينس الباري وأجره خمسة دراهم » فقلت في نفسي : « أتم بك يا أقينس إن كنت تملك هذه الحكمة حقاً ، وتعلمها مثل هذا الأجر الضئيل ، فلو كانت لثي كرهيت وأخذت الفرور ، ولكنني بحق أيها الأنثيون — لا أعلم من تلك الحكمة شيئاً »

رب سائل منكم يقول : « وكيف شاعت عنك تلك التهمة يا سقراط إن لم تكن قد أتيت أمراً إذا ؟ فلو كنت فرداً كسائر الناس لما ذاع لك صوت ولا دار عنك حديث . أنبتنا إذن بعلة هذا إذ يؤلنا أن نحكم في غير صالحك » وإني لأحسب هذا تحدياً رقيقاً ، وسأحاول أن أوضح لكم لم دعيت بالحكيم ، ومن أين جاءتني الأحذوثة السيئة ، فأرجو أن تصتوا لقولي ، ولو أن بعضكم سيظن بي الهزل ، ولكنني أعترف أنني لن أقول الا الحق

خالصاً . أيها الأنثيون ! إن لدى ضرباً معيناً من ضروب الحكمة ، كان مصدر ما شاع من أمرى ، فان سألتوني عن هذه الحكمة ما هي ؟ أجيبت أنها في مقدور البشر ، وإلى هذا الحد فأنا حكيم . أما أولئك الذين كنت أتحدث عنهم فحكمتهم معجزة فوق مستوى البشر ، لا أستطيع أن أصفها لأنني لا أملكها ، ومن ظن أنها لدى فقد ظن باطلاً ، وكان أشد ما يكون بدءاً عن حقيقتي . أيها الأنثيون ! أرجو ألا تقاطعوني ولو بالث في القول ، فلست قائل هذا الذي أرويه لكم ، ولكني سأنيب عنّي شاهداً جديراً بالثقة ، ليحدثكم عن حكمتي — فسنبشكم هل أملك من الحكمة شيئاً ؟ وإن كنت أملك ، فأنوعها — وأعني بذلك الشاهد إنّه دلتني . إنكم ولا ريب تعرفون (شريفون) ، فهو صديق منذ عهد الصبا ، وهو صديقكم منذ ظاهركم على نقي من نقيتم ثم عاد أدراجه معكم . كان شريفون كما تعلمون صادق الشعور في كل ما يعمل ، فقد ذهب الى معبد دلتني وسأل الراعية في جراءة لتبته — وأعود فأرجو ألا تقاطعوني — سأل الراعية لتبته إن كان هناك من هو أحكم مني ، فأجبت النية أن ليس بين الرجال من يفضلني بحكمتي . لقد مات شريفون ، ولكن أخاه ، وهو في الحكمة بيننا ، يؤيد صدق ما أروي

وفيم أسوق اليكم هذا الخبر ؟ ذلك لأنني أريد أن أتقصي لكم علة ما ذاع عني من سوء الذكر . لما أتاني جواب الراعية ، قلت في نفسي : ماذا يعني الآلهة بهذا ؟ إنه لنز لم أفهم له معنى ، أنا أعلم أن ليس لدى من الحكمة كثير ولا قليل ، فإنا عساه يقصد بقوله إنني أحكم الناس ؟ ومع ذلك فهو إله يستحيل عليه الكذب ، لأن الكذب لا يستقيم مع طبيعته . ففكرت وأمنت في التفكير ، حتى انتهيت آخر الأمر الى طريقة أحقق بها القول . اعترفت أن أبحث عن من يكون أحكم مني ، فان صادفته ، أخذت سميتي نحو الآلهة لأرد عليه ما زعم ، فأقول له : « هاك رجلاً أكثر مني حكمة ، وقد زعمت أني أحكم الناس » . لهذا قضت الى رجل من الساسة — ولا حاجة في الذاكر اسمه — فقد عرف بحكمتي ، وامتنعته فانهيت الى النتيجة الآتية : لم أكد أبدأ معه الحديث حتى قرت في نفسي عقيدة لا تمنحني بأنه لم يكن حكماً حقاً ، على الرغم من شهادة الكثيرين له بالحكمة ، وعلى الرغم مما ظنه هو نفسه في حكمتي ، وقد جاوز به الفرور شهادة

منى بما منى به هذا الأدب من إغفال أهله أن يقيموه على أسس هذا العصر .

تاريخ الأدب عندنا علم حديث النشأة ، غرض التكوين ، لا يكاد يرجع ميلاده الى ما وراء الجامعة الأولى ، ولا يكاد يثبت في طريقه لما يحتوشه من أسباب الضعف ، وما يعوزه من عناصر الحياة ، وما يحيط به من شتى العوامل التي تثبطه وتصدده وتحمل عليه بما لا يحتمله الجلد القوي بله الضيف الواهن ، وإنما هي القوة اللسانية التي تمسكه ، فمن أقدس الواجبات علينا لقاءه أن نمكن له في الحياة ، وأن نوفر له العناصر التي يقوم بها كيانه الصحيح ، وهي تلخص في أمرين لا بد منهما : تقرير الأسلوب العلمي ، واستجاع المادة التي يتكون منها تاريخ الأدب العربي .

أما أول الأمرين فقد كفانا مؤتمته الأساتذة الأجلاء الذين شقوا لنا ذلك الطريق ، ووضوا أمامنا معالم البحث العلمي ، وبصرونا بمناهج النقد والتحصيل والموازنة وما الى ذلك .

أما المادة التاريخية فهي العنصر الأول في كتابة التاريخ ، وكما توفرت لدى الباحث ، وانتمت نواحيها ، وتنوعت أرواها ، وتعددت مذاهبها ، وكثرت الأيدي التي تقدمها ، وأخفت تضرب في شتى جهات الحياة ، وتتناول الأطراف المختلفة ، كان المؤرخ أكثر توفراً على بحثه ، واستضاء أمامه العصر الذي يؤرخه ، فأخذ يصفه وصفاً أشبه باليقين ، ويقرر التيارات الأدبية فيه تقريراً أقرب الى الحقيقة ، بعد أن يكون قد نظر في أجزاء هذه المادة نظراً الناقد البصير ، فجعل يوازن بينها ، ويقارن بين مختلف أجزائها ، وليكن هناك ما يكون من التناقض في الروايات ، والتضارب بين الأقوال . فذلك ، فيما أحسب ، أدعى الى استبطان الحقيقة المستكنة في ثنايا هذه الاختلافات ، وأقرب بالباحث الى تلج الصدر وبرد اليقين .

والأدب العربي يملك من هذه الناحية ثروة طائلة بالرغم من عوادي الزمن ، والنكبات التي أصابت المكتبة العربية في مناسبات مختلفة ، ولكنها ثروة ضائعة لا تجدد من يستغلها إلا قليلاً ، إذ لم يقدر لها من ينشرها من قبورها ، ويمسح فيها الحياة التي تعرفها ، حتى يستطيع استغلالها ، وإنما هي جهود ضئيلة بالنسبة الى عظم العمل ، وجلال التهمة .

كتاب الأوراق

وفطره في كتابة التاريخ

بقلم محمد طه الحاجري

في ذمة الأدباء من أهل هذه اللغة الكريمة للأدب العربي من ناحية ، وللروح العلمية السائدة من ناحية أخرى ، دين لا يعدل لهم عن أدائه ، ولا مترخص لهم في الوفاء به ، إذ كان مرجع الأمر فيه شخصيتهم المنوية التي يظهرون بها ، وإلى كيانهم الأدبي التي لا حياة لهم من دونه ، وإلى شعورهم بالروح العلمية المتقلبة في كل عناصر الحياة ومظاهر الوجود . ثم هو متصل فوق هذا بالقومية التي نقاخر بها ونحرص على توثيق عراها وتقوية أسبابها . ذلك هو العناية بتاريخ هذا الأدب الذي تعده خمسة عشر قرناً عناية تظهر ، فيما أحسب ، في كتابة هذا التاريخ ، وإقامته على أسس قوية من أساليب البحث العلمي ، ومناهج النقد الأدبي ، والتبسط في ذلك بما يطويعه الجهد الواسع ، والنفس المتد ، والمزعة القوية ، والزوج العلمية المثيرة ، والرغبة التوثيقية في إقامة كيانه المصري على أقوى ما نقاخر به الشعوب وتعتمد عليه الأمم ، فما أحسب أن أدب أمة من الأمم بلغ من سعة المادة ، وامتداد العمر ، ومجاعة الحياة ، ومساوقة الزمن ما يبلغه الأدب العربي ، ثم لا أحسب أن أدب أمة من الأمم

الشامدين ، فحاولت أن أقنعه بأنه وإن يكن قد ظن في نفسه الحكمة ، إلا أنه لم يكن بالحكيم الحق ، فأدى به ذلك الى الغضب فني ، وشاطره في غضبه كثيرون ممن شهدوا الحوار وسمعوا الحديث ، فنادرته قائلاً في نفسه : إني وإن كنت أسلم أن كلينا لا يدري شيئاً عن الخير والجمال . فإني أفضل منه خلاً ، لأنه يدعي العلم وهو لا يعلم شيئاً . وأما أنا فلا أدري . ولا أزعم أنني أدري — ولعلني بهذا أفضله قليلاً . ثم قصدت الى آخر ، وكان أعرض من سابقه دعوى في الفلسفة ، فأنهيت معة الى النتيجة نفسها ، وعاداني هو الآخر ، وأيدته في موقفه عدد كبير

زكي نجيب محمود

ينبع

ويضعها فوق كل اعتبار ، مثبتاً على طريقة عصره في النقد والرواية ، لا يعجل مع الهوى ، ولا يذهب مع الخواطر ، ولا يقف دون النقد والمقارنة والتحخيص .

عرض في أثناء حديثه عن أحمد بن يوسف الى رواية يتحدث ابن طيفور عنه بها ، وخطب فيها ، فلم يدعها الصولي تمر دون أن ينقدها بما طوع له علمه الفزير وروحه العلمية القوية ، ثم كتب هذه العبارة التي تثبتنا هنا لتدل على تثبته العلمي من ناحية ، وعلى مظهر من مظاهر الروح العلمية في ذلك العصر ، من ناحية أخرى .

« وقد رأيت (يعني ابن طيفور) بالبصرة سنة سبع وسبعين ومائتين ، وقدمها إلى أحمد بن علي المادرائي ، وكتبت عنه مجلسين أو ثلاثة ، فلما رأيت صحيفاً لم أرعته ما أريد تركته ، وبعز على أن أذكر أحداً من أهل الأدب بسوء وأن أستخفه ، ولكن لا بد من أن نعطي العلم حقه ، ونضع الحق موضعه »

أفرايت إلى أي حد من الاجلال والتقدير كان نظر الرجل إلى العلم والحقيقة والأدب ؟

يمثل لنا هذا الخبر الصغير الذي ينبغي أن يرجع إليه القارىء - في الكتاب صفتين من أبرز صفات الصولي وكثير من علماء ذلك العصر : وهما سعة المادة ، والتثبت في الرواية . وعلى هاتين الصفتين قامت عظمة السلف ، وعليهما يجب أن تكون الذعائم التي نقيم عليها أبحاثنا العلمية في تاريخ الأدب ، فلن نغفينا بكل أساليب البحث ومناهج النقد ، عن سعة المادة وتوفر المصادر ، والتقصي فيها بكل ما يتسع له الجهد ويطوعه الامكان .

فاذا كنا نبحث في كتاب الأوراق ، فانما ذلك لأنه صورة لتلك الشخصية العظيمة في تاريخ الأدب العربي ، ومثال من خير الأمثلة عن الطريقة الأدبية لأسلافنا في معاناة الرواية ونقدها وتحخيصها . والتوفر على الجمع والمقارنة ، ثم هو فوق هذا كله ، زيادة في المادة التاريخية ، وتوطيد لأسس البحث العلمي ، بالنسبة إلى عصر من أشد عصور الأدب العربي اختلاطاً واضطراباً ، وأغصها بالتيارات المختلفة ، والزرعات المتباينة المتشابهة .

وهذا القسم الذي نشر من كتاب الأوراق خاص بأخبار الشراء المعاصرين ، وقد سلك الصولي في تصنيفهم مسلماً حسناً جديراً بالتنويه ، ذلك أنه راعى في ذلك أسرهم : فذكر أولاً

ولقد تقدمنا الفرنجة في هذا السبيل حتى أخرجونا وأهبطوا عائقنا بفضلهم ، وضربوا لنا خير الأمثال بما نشرنا من كتب ، وما قاموا به عليها من عناية بتصحيحها وفهرستها ومقارنتها ، في تواضع العالم المخلص ، وهدوء الباحث المتبصر . فدلوا بهذا على روح علمية ثابتة الأساس ، ومعرفة حكيمة بطرائق البحث الصحيح .

لست الآن بصدد البحث عن جهود المستشرقين العظيمة المترالية في سبيل الأدب العربي ، وإنما سببيل الآن أن أجدد عن كتاب من خيرة الكتب التي كادت تتلاشى في غمار القرون وثنايا النسيان وعوادي الاهمال ، فنشره مستشرق ناشئ ، هو المستر هيورث دن ، وخلع عليه هذا المظهر الذي تتجلى عليه الروح العلمية في بهائها وروقتها وجلالها . ذلك هو كتاب الأوراق لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي المتوفى سنة ٣٣٥ .

والصولي إمام من خير أئمة الأدب ، وكاتب من أفضل الكتاب الذين تدهر بهم تلك الفترة من الزمن ، وعالم ضليع غزير المادة جيد الرواية ، يروي عنه أبو الفرج كثيراً في أغانيه ، وأستاذ جليل تخرج عليه كثير من رجالات ذلك العصر مثل أبي عبد الله محمد بن عمران المرزباني ، وهماك من رجل ؛ وبناهيك من عالم . وقد ترك ثروة كبيرة من الكتب الجليلة في قيمتها الأدبية والتاريخية ، نقرأ بياناتها في كتب الفهارس ، ثم ننطوي على أنفسنا حسرة وأسفاً على ذلك الكثر الذي طاحت به الطوائف . ولا أحسب أنه قد بقي لنا منه إلا هذا الكتاب الذي عني به المستر دن هذه العناية ، وكتاب آخر في أدب الكتاب نشره منذ عشر سنوات العلامة الأثرى المرحوم علي بهجت . وكان كتاب الأوراق في حكم تلك الكتب التي لانعم شيئاً عن مصيرها ، لولا تلك الروح العلمية التوثيقية التي حفزت ذلك الشاب العالم على إخراجه للناس في ثوب علمي جليل ، ومعاناة تحقيقه وتحخيصه ومقارنته رواياته ، فأضاف بذلك إلى المادة التاريخية لعصر بني العباس ما هو جدير أن يضيء الطريق أمام الباحث المؤرخ في كثير من مجاهل هذا العصر ومسائله المتلوية الغامضة .

وقد نجد في ترجمة الصولي كلاماً مختلف الأطراف بين مدح وقدح ، وتقدير وتشهير ، ولكننا لانشك ، إذ نقرأ كتابه « الأوراق » أنه كان رجلاً عالماً يمثل الروح العلمية خير تمثيل ،

دراسة مفصلة تتسع لئلا تتسع له هذه الكلمة العاجلة .

ومما يستطرف ويلفت النظر في هذا الكتاب ، أنه يظهرنا على أولية ذلك النوع من الشعر الذي يسميه الفرنسيون الشعر التعليمي *La poésie didactique* في الأدب العربي ، فنحن نرى أنه قد بدأ بأبان بن عبد الحميد اللاحق ، فقد صنع قصيدة سرد فيها أحكام الصيام على نحو ما نعرفه في منظومات العلوم . والظاهر أن أبان كان مضطجاً بهذا النوع من الشعر ، فقد نظم كذلك كتاب كلية ودمنة ، وكتاب المنطق ، وكان ذلك فناً طريفاً . وقد ذكر الصولي أنه عاتب البرامكة على قلة عطائهم مع خدمته لهم وموضعه منهم ، فأشار عليه الفضل أن يقول شعره في هجاء الطالبين ، فتقدم أبان ، ثم قال قصيدة استطرغها الفضل ، وهي لا شك طريفة . فقد سلك فيها مسلكاً عجيباً في الشعر ، إذ أخذ يجادل الطالبين في دعوائهم جدلاً فقهياً بحثاً مستنداً إلى أحكام الوراثة في الإسلام وما يقرره الشرع في حالات الحجب والهبة وما إلى ذلك . ولما جاء بهذه الأبيات إلى الفضل قال له : ما يرد اليوم على أمير المؤمنين شيء أعجب إليه من أبياتك .

هذا تاريخ نوع من الشعر كثير الشيوع في اللغة العربية ، على أن لهذا فيها أحسب ، بعض الدلالات الأخرى على بعض العوامل في ذلك العصر .

وعقد الصولي فضلاً عما روي في حجة دين أبان ، وعندى أن هذه النصوص التي تروى في هذا الصدد عظيمة الخطورة في تحقيق المسألة الدينية في عصر الجباسيين : ذلك الأمر الذي اضطرت فيه الأقوال واشتهت فيه الظنون ، واختلفت فيه منازع الرأي . ولا يزال في حاجة إلى التحقيق العلمي القائم على القول الصحيحة والتفكير النزه البصير .

وبعد فما نستقصي في بيان قيمة كتاب الأوراق من ناحية التاريخ الأدبي ، وحسبنا أن يكون هذا الكتاب زيادة في المادة التي تركز عليها أبحاثنا ، وأن يكون واضعاً أبو بكر الصولي ، وهو من عرفنا ، وأن ينشر نشرنا علمياً خالصاً لوجه العلم والأدب . حتى نحتفى به ، ونرحب بظهوره .

محمد طه الحامري

أسرة اللاحقين ، ثم أسرة احمد بن يوسف وزير المأمون ، ثم أسرة السلمي أشجع بن عمرو . وهذا نحو جديد في التصنيف الأدبي جدير بأن يغتبط به الذين يتتبعون الصفات الوراثة المشتركة ، والذين يرون في الأدب صوراً لقوانين الوراثة المقررة .

وإذا كانت هذه طريقته في عرض الشعراء ، لم يتقيد بذكر المشهورين منهم ، ولا حبس نفسه عليهم ، وقد صرح هو نفسه بهذا الاتجاه في آخر كتابه فقال : « قد جئت بأكثر أشعار هؤلاء إذ كانوا شعراء ظرافاً كتاباً لا يعرفهم الناس ، ومن عرفهم لا يعرف أخبارهم وإنما أستقصي أشعار من لا يعرفون وأخبارهم » وكذلك كان الصولي ، فقد انطلق في ذكر هؤلاء الشعراء المغمورين ، وسرد أخبارهم ورواية أقوالهم وأشعارهم ، مما هو جدير بالرواية ، حقيق أن نتم فيه النظر ، ونستخلص منه كثيراً من الحقائق التاريخية التي قد لا تتضح في مشاهير الشعراء ، فقد تقيد الشهرة صاحبها بكثير من القيود التقليدية ، وتنتشر حوله غشاء مصنوعاً ، حتى يصبح من العصر الذي يعيش فيه ، صورة كثيرة التزوير والتويه . على حين ينطلق الشاعر المغمور في سبيله يصور من نفسه وعصره وبيئته ما وسعته الحرية في التعبير ، والقدرة على التصور .

ولعل كبار الشعراء هم صور من عبقرياتهم ، أكثر من أن يكونوا صوراً لمصورهم وبيئاتهم ، وما تخرج به من شتى النزعات ومختلف الصور والتيارات .

فكتاب الأوراق يضع بين أيدينا إذن مصدراً عظيم الخطر من مصادر التاريخ ، ويصيرنا بكثير من الحالات التي سيطرت على الأدب في ذلك العصر ، بما يكتبه عن أولئك الذين انطمعوا بحياتهم ، وصوروا تصويراً حراً طليفاً من قيود الشهرة .

ومن قبل عني الفضل الضبي يجمع شعر الشعراء المقلين نقدم بذلك الاتجاه التاريخي الذي توجهه أجل خدمة ، إذ كانت الفضليات أصدق صورة للعصر الجاهلي .

هذه ميزة شديدة الوضوح من ميزات كتاب الأوراق ، لها خطرها فيما نقصد إليه من الدراسة الأدبية . ولست أتمرض الآن لشرح هذا الوجه من الخطورة ، ولعله يتاح لنا فيما بعد أن ندرسه

الشباب في أمريكا

حركته وتربيته وحياته السياسية

ومقارنته بالشباب في أوروبا

بقلم إبراهيم إبراهيم يوسف

في علم النفس بفكرة رعاية الشباب وتربيته عملياً . وهم يتبعون في ذلك رأي زعيم التربية الحديثة في أمريكا السترون ديوى الذى تعتبر آراؤه إيجابياً للربين الأمريكيين . وخلصه آرائه : أن العلم والمعرفة يجب أن يتزعا من الحياة ، وأن لا علم إلا إذا جاء عن طريق ممارسة العمل ومزاولة الأمور العملية . وهذه الأسس هي التي يعبر عنها « بطريق الشروع » القاعة في علم النفس على « المحاولة والخطأ » . وقد مهزأ الأوربيون بهذه النظريات العملية ، وهذا النوع من التربية . ولكنهم يفسون أن تربية النفس وفق هذه الأصول تكون عندهم قوة الإرادة وصحة الحكم على الأشياء . ومن أهم المبادئ المعمول بها في أمريكا لتربية النفس اعتبار الشباب وفرديته في مرتبة لا تقل عن مقام المعلم وعلمه . وكثيراً ما ينهى علماء التربية الأمريكيون على زملائهم في أوروبا التسرع في الحكم بأن الطفل له شخصية أقل خطراً من شخصية الرجل المكتمل الرجولة . ولكن علماء التربية الأوربيين يقولون هم الآخرون بأن الآراء الأمريكية تحوى جرثومة تهدد نظام التربية والتعليم من أساسه ، كما أن تلك الآراء تعمل على إضعاف مركز الربى في نظر النفس وإضعاف الثقة به . ولكن الأمريكيين يقولون إن المسألة عكس ذلك تماماً . ثم إذا نظرنا إلى المدارس الأمريكية على اختلاف أنواعها ، ولاحظنا تباين الأعمار في الفصول ، حكمتنا بأن النظام كما يفهمه الأوربيون ليس له أثر ملموس في هذه المدارس . وكثيراً ما قال الربون الأوربيون عند أول مشاهدتهم للشباب الأمريكي : « يا لها من فوضى ! » إذ يجدون الطلبة هنالك يتوجهون بكلياتهم إلى شخص الأستاذ ، أما اهتمامهم بدرسه فأمر ثانوى لليسهم . ولهذا نجد بين الأساتذة والطلبة علاقة ألفة قد تبدو أشبه بالصدقة التي يضيع معها كل نظام ، ولعل السر الذي يفسر لنا تلك الألفة هو أن ٩٠٪ من مجموع المعلمين في المدارس الأولية والابتدائية والثانوية في كافة البلاد الأمريكية نساء . ولا يعوق المعلمة عملها لو أن لها زوجاً وكانت في مقتبل العمر . ثم هنالك ظاهرة غريبة أخرى قد لا نجد لها مثيلاً في أى بلد أوروبى ، تلك هي اعتبار المدرسة والسكينة ضررعة يتمهد فيها المدرسون بتربية الألفة والصدقة بين كل أفراد الشباب ، ولا زالت الكليات الأمريكية برغم ما وجه إليها من نقد محافظة كل المحافظة على حياة الأخوة بين الطلاب ، مانعة كل المنع كسرب دخلاء إلى

[البقية في ذيل الصفحة التالية]

لا نستطيع أن نفهم النزعة الجديدة التي تملك أئمة أبناء الجيل الحديث في الولايات المتحدة الأمريكية ، إلا إذا فهمنا قبل كل شيء الفوارق الرئيسية بين الحركة العامة للشباب في أوروبا ومثيلها في أمريكا . وأول ما يلفت النظر عدم اهتمام الشباب الأمريكي اهتماماً جدياً بالروحانيات والاجتماعيات ، بينما نجد زملاءهم في أوروبا على عكس ذلك . كذلك هم لا يعرفون التكالب على الدرس بنفس النهم الذي يجده عند الشباب الأوربيين . والواقع أن أمريكا برغم ما لها من تنوع في الآداب لا تعرف حتى الساعة ما يسمى « بثورة الشباب » كتلك التي عرفناها لشباب الألمان مثلاً لنهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين . وقد تكون التقاليد الاجتماعية التي توارثها الشباب الأمريكي عن سلفه والتي يراها كل الرعاية سيئاً ، إذا ما أضيف إليها مركز الشباب الاقتصادي ، يحول بينه وبين تحمل عبء مسؤوليات جسام . وركن الشباب إلى تلك التقاليد وراح يحافظ عليها فتجلت في حياته السياسية ، ثم سرعان ما انتقلت المدى بمد ذلك إلى كل ميدان من ميادين حياة الشباب . ورسخت هذه التقاليد في النفوس بدلاً من أن يتم التعاون على مقاومتها لتتلاشى . فمثلاً بينما كان الشباب الألباني منذ ثلاثين سنة يثور على سلطة العائلة وسلطة المدرسة ولا يبابه بسلطان الدولة ولا بسلطان الكنيسة ، كان الشباب الأمريكي ينزع في نفس الوقت إلى انتهاج ما توارث عليه زعميله الأوروبي ، وكان مما لا بد منه أن تنبذ أمريكا آراء أوروبا وطرقها في تربية النفس ، وتبحث لها عن أسس جديدة ، فاهتدت إلى جعل الدراسة العملية في المرتبة الثانية من منهج التعليم . وما هي إلا سنوات حتى استوفى رجال التربية والتعليم في أمريكا من أن النظريات والعمليات التي سار عليها زملاؤهم في أوروبا لم تعد صالحة للعالم الجديد ، فاستعاضوا عن « القولين العامة »

رسالة

تاجرة!!

دعته الى العش عصفورة بتغريدها المطلق الساحر
شكت قبله وحشة الانفراد على ذلك الفن الزاهر
وطول المقام بلا صاحب تنى الى جنحه القادر
يشاطرها واجبات الحياة ويحمل من عبها الواقر
ويمنحها عائدات الوداد وتمنحه جذوة الشاعر
تفيض حناناً الى قربه ويسعد في حبا القاسر

قضى زمناً شادياً لاهياً بأحلامه هادى الخاطر
يروح الى الأيك جم النشاط فينعم في ظله الناضر
وينهل من مائه المستطاب ويستاف من عرفه العاطر

دعاه الصبا ولياناته فلبى نداء الصبا الغامر
وفارق أحلامه الساحرات الى صرحها الوارف العامر
الى حيث يقطف آماله ثماراً ويجنى جنى الصابر
إلى حيث يملأ ما قد خلا من القلب في الزمن الغابر

فلما أراها رأى أنها تهيب بندى الثروة الكائر
وقد جعلت نفسها سلعة كلعة صاحبنا التاجر
فهذا يسوم وذاك يزيد وذا يتقى صفقة الخاسر
ضداد الى أيكه نادبا بذلك من جده العائر
إذا ما الزواج غدا سلعة فأنت على تركه عاذرى

جين - فلسطين

ع ١٠

عرس في ماتم

واعجباً للمرء في جهله وهو أخو اللب شقيق النهى
يؤمن في غفله حالماً ويحسب الضلة كل المدى
يطوى شقاء العمر في سكرة نشوان يغريه رفيف الرؤى
وهمان كل العمر ما إن يمي سر الدنى - يا يؤسه لوعى!
يا سره ! أية العوبة هيبة في كف هذى الدنى

وردت وورد الناحات رسالة هاجت كمين صابتي وغرامى
رفافة الصفحات يبعث نشرها من طيب عهد غابر الأيام
من سالف اللذات لى فى معهد سلفت به اللذات كالأحلام
فى معهد حفل بأوطار الصبا فيه حمدت على البعاد مقامى
نشرته للعين الصحيفة وانجلى فى الطرس حُسْنُ صعيدة المترامى
واستنتت من بين السطور نسيمة ورأيت باسق سرحه المناسى
وتمسكت لى ساكنات غصونه غيب السماء نوادى الاكلام
وذكرت فيه كل ماضى بكرة طلعت تالق فى الضياء الطامى

طلعت فيها الشمس تسكب ضوءها

تبراً على الأنجاد والأعلام وعشية خسعت كأن نسيما
متوجس من عودة الإطلام راقت فيها الليل من مستشرفى
يطغى على الأغوار والآطام إني لأهوى فيه كل طريقة
حاولتها وهنامة ومرام وأحب أياماً به وليالياً
موصولة اللطاف بالأنعام وأحب أشعاراً نظمت عقودها
فى ذلك الوادى البضير النامى ما زلت أذكر كلما رجعتُها
أفقا جرى من سحره الهامى من مائه الرشقاق أو أزهاره
قد صنعتها أو فجره البسام قد كان حنلاً بالقوافى جوه
فى حالتى : الصحو والإرزام ما ازداد إلا فتنه وملاحة
لشروق شمس أو هتون غمام يهفولذ كراه الفواد إذا جرت
وتبور أشواقى له وهيامى ويجيئه منى السلام وإن أنل

فخرى أبو السمور

حظيرة الشباب، وحتى فى المدارس الابتدائية يتدرب الأطفال على معيشة أخوية كاملة المظهر، لا يبنى فيها باتباع طريقة شحن الذهن بالعلوم والواقع أن النثل الأعلى وطابع التربية عند الأمريكين هو جعل التعليم المثالى عملياً ووطنياً

ابراهيم ابراهيم يوسف

وسرّ هذا السنن من شاعرٍ
مُسْتَمَعِمِ اللَّفْظِ غَرِيبِ النَّعْيِ

* * *

شَيِّعَتْ بِالْأَمْسِ زَفَاتِ الصَّبَا
فِي لَوْعَةِ التُّكْلِ وَمُرَّ الْجَوَى
يَقُولُ لِي صَحْبِي فِي فَرَحَةٍ
هَوْنٌ عَلَى نَفْسِكَ بَعْضَ الْأَسَى

* * *

لِلَّهِ قَلْبُ الرَّءِ مِنْ غَامِضٍ
يَبْكِي لِمَا يُضْحِكُ حِينًا وَقَدْ
يُنْصَحُكَ مَا يَسْتَفِزُّ الْبُكَاءَ
تَوَّارًا وَطَوَّارًا كَحَرُونِ الصَّفَا

* * *

هَذَا الشَّبَابُ الْجَهْمُ مَا عِنْدَهُ؟
صَحْرَاؤُهُ مُرْمِضَةٌ رَحِيَّةٌ
لَا يُبْلِلُ يُطْرِبُ إِمَّا شَدَا
أَقْطَعُ وَحْدِي عَرْضَهَا رَاكِبًا
أَضْرِبُ فِي آفَاقِهَا حَائِرًا
أُحِبُّ لَا مُؤْنِسَ فِي وَحْدَتِي
ظِلَّانِ ! إِنْ آلَ بِنَا مَرَّةً
يَحْنُ بِى مِنْ أَسْرِ مَوَكِبِ
تُرَى الْجَوَى سَائِلًا؟ أَمْ تُرَى

* * *

وَفَيْتِهِ هَمَّهُمْ مَلْمَبٌ
صَنَمُهُمُ لِلْمَلِكِ فَيْتَانَةٌ
مِثْلُ الظُّلْمِ فِي مَرَحٍ دَائِمٍ
يَا فَرَحَةَ الْأَطْفَالِ ! لَوْ أَنَّهَا
يَأْتِي عَلَيْهَا النَّهْرُ مُسْتَأْسِدًا

* * *

يَا رَحْمَةَ اللَّهِ لِعَهْدِ الصَّبَا
مِنْ حُلْمٍ مَارِفٍ حَتَّى اخْتَفَى

* * *

تَقُولُ لِي النَّفْسُ وَقَدْ هَالَمَا
أَهْكَذَا الْأَيَّامُ مَجْنُونَةٌ

أَجْرُ الطَّرِيقِ

دمشق

غيرة ...

ذهبتُ كي أوقظه من غفوة لم تنجل
فكان في صحبته طفلًا من الهمم خل
عليه من شرخ الصبا أبهى الثياب والحلى
بل كانت مثل ملكٍ سمح تذاقي من عل
وقد وجدت وجهه في التروم في سهل
ما بالله منشرحًا كأنه في نخل ؟
بمن تراه يحنى في نومه وينجلي ؟
عندئذ ألفتني غيران قلبي يصطلي
فلم أدعه ناعماً في نومه المسترسل
بل هب مذعوراً على عواصف من قبلي
كرمة ابيه هاني صبي شوقي

لجنة التأليف والترجمة والنشر

النظرية العامة للالتزامات

الجزء الأول

في نظرية العقد

ظهر الجزء الأول من كتاب النظرية العامة للالتزامات
للدكتور عبد الرزاق أحمد السهورى أستاذ القانون المدنى
بكلية الحقوق سابقاً والمحامى أمام محكمة النقض والابرام . وقد
تناول هذا الجزء بحث نظرية العقد وما تشتمل عليه من
نظريات قانونية خطيرة كمنظريه تكوين العقد والتعاقد بالمراسلة
والأهلية وعيوب الرضاء والبطلان والفسخ والتخلف العام
والتخلف الخاص والدعوى غير المباشرة والدعوى البوليصية
ودعوى الصورية والتمهيد عن الغير والاشتراط لمصلحة الغير
وتفسير العقد والمسئولية التعاقدية ونظريه الحوادث الطارئة
وغير ذلك من المسائل القانونية التى تعتبر أساساً للقانون المدنى
ولا يستغنى عن الرجوع اليها كل مشتغل بالقانون ، وهو يقع فى
ألف صفحة ومائة من القطع الكبير ، وقد طبع فى دار الكتب
ومن هذا الجزء جنيه مصرى واحد (عنا أجرة البريد)
ويطلب من لجنة التأليف بشارع الكرداسى رقم ٩ ومن
مكتبة الامجلو ومكتبة النهضة والمكتبة التجارية والهلال
ومن لادى المحامين بشارع فؤاد الأول

لونجفلو

الشاعر الأميركي الملمهم

بقلم مأمون إياسى

صندوق إحدى الجرائد ، ولكن رئيس تحرير تلك الجريدة لم يوافق على رأيه فكان نصيبها سلة المهملات . فما كان من الشاعر الصغير ، وقد جرحت كبرياؤه ، إلا أن أرسل القصيدة إلى جريدة منافسة فنشرتها . وقد قال بعد سنتين عديدة بأن الشعور الذي استولى عليه عندما رأى أول شعره مطبوعاً لم يماوده بعد ذلك لدى نشر أى شعر آخر

وكانت حياته الدراسية بعد ذلك نجاحاً مضطرباً وتفوقاً يثير الإعجاب . وعند ما أتم علومه في جامعة « بودوان » راح يلتبس من والده لإرساله لقضاء سنة في جامعة « هارفارد » واعترف له بما يجول بخاطره من آمال قائلاً : « الحقيقة يا والدي هي أنني أطمح في مستقبل أدبي حافل . إن نفسي لتتحرق شوقاً إلى ذلك » ولكن والده نصحه بأن يفكر في صنعة تكفل له عيشه غير صنعة الأدب . وأرغم الشاب على النزول على إرادة والده والعمل بنصيحته ، فدخل كلية الحقوق . ولكن أحد المفتشين سمعه مرة يلقى ترجمة لمقطوعة من أصعب أشعار « هوراس » فأعجب به ، وعندما كانت الإدارة تفكر في إدخال فرع جديد للغات الحديثة في برنامج الجامعة وقع اختيار ولاية الأمر على « لونجفلو » ليكون أستاذاً لذلك الفرع ، ولما يتخط عامه التاسع عشر ، ولكنهم اشتروا عليه أن يمضي ثلاث سنوات في أوروبا فيدرس لغاتها ثم يعود . ووافق والده على تزويده بالمال الكافي للقيام برحلته ، وأبحر الأستاذ الشاب إلى أوروبا بقلب مغمم حياة وأملاً ، فمضى ثلاث سنوات متنقلاً بين فرنسا وألمانيا وإيطاليا وإسبانيا وإنجلترا ، فدرس لغاتها وأحوال أهلها وطرق تفكيرهم ، ثم عاد ليقوم بأعباء منصبه بنشاط وحماس ، ويتقاضى تسبئة دولار كل شهر (وهذا المبلغ كان يمد ثروة في ذلك الحين)

لم يكن تدرسه في جامعة « بودوان » وإدارة مكتبها ليعرف « لونجفلو » عن الكتابة شعراً وتراً ، فواصل جهوده في النظم والتأليف ، ولكن كتاباته اقتصرت إلى حد ما على الموضوعات التي كان يدرمها

وثبت اسم الشاعر في عالم الشهرة حتى أن إدارة جامعة « هارفارد » طلبت إليه أن يتولى رياسة فرعها للغات الحديثة عندما استقال أستاذها . فقرر « لونجفلو » القيام برحلة ثانية إلى أوروبا لاستزادة في درس اللغات والآداب . وعندما كان في هولندا

لاشك أن « هنري وودسورثو لونجفلو » الشاعر الأميركي النابه غنى عن التعريف إلى قراء الإنجليزية ، وأن قصته الشعرية « ايضاًجلين » تعد في طبعة الآثار الأدبية الخالدة التي خلفها ، وخدمة لمن لم يقرأوا هذا الشاعر الصبغى رأينا أن نكتب هذه النبذة عنه فنقدم لهم بذلك أحد الشعراء العالميين الذين يقدمهم الشعب الأميركي

ولذا « لونجفلو » في ٢٧ فبراير في سنة ١٨٠٧ في مدينة « پورتلاند » في ولاية « مين » وقضى طفولته وصباه في بيت واقع في شارع « الكونجرس » مازال إلى الآن محفوظاً على حاله الأولى عند ما كان يعيش فيه الشاعر العظيم . ويحج إلى ذلك البيت آلاف من الناس الذين يذهبون إلى « پورتلاند » في كل صيف ، ويدخلون إليه للتفرج على كل غرفة من غرفه ، وعلى مطبخه الذي مازالت الأواني الثقيلة مبعثرة على مواقد منذ مائة عام . ونيف . ثم يصعدون إلى غرفة في الدور الثالث ليروا السرير الخشبي الذي كان يتام عليه « لونجفلو » ويطلوا من النافذة التي كان يرى منها المنارة الموصوفين في إحدى قصائده

وكانت « پورتلاند » مدينة موافقة لفتى له روح « لونجفلو » الحساسة الرقيقة ، إذ كانت شوارعها الطويلة المظلة بالأشجار الوارفة ، وأحراجها المكتظة ، وشاطئها الشمري الهادى ميداناً خصباً لخيااله الواسع .

كان « لونجفلو » في السادسة من عمره عندما عاد من المدرسة يوماً وناول والده شهادة — لم تزل محفوظة للآن — كتبت فيها معلته بأنه تلميذ مجتهد وأخلاقه قويمة . وبعد ذلك بسبعة أعوام عندما كان في الثالثة عشرة من عمره كتب قصيدة يصف فيها إحدى المواقع المشهورة بين الأميركيين والهنود الحمر . وكان على ثقة تامة بأنها جديرة بالنشر ، فاستجمع شجاعته ورمها في

وصله من امرأته فواصل أبحائه ودروسه بقلب مثقل بالهم والحزن وهناك نادرة تحكي عنه عند ما عاد من أوروبا ليتولى عمله في «هارفارد»، وكان في الثلاثين من عمره، ولكن هيئته لم تكن لتدل على ذلك، فذهب الى «بنسيون» ليستأجر غرفة فيه، فنظرت اليه صاحبة «البنسيون» من رأسه الى قدمه وقالت له: «أنا لا أقبل تلامذة عندي» ولكنه قال لها «لست تلميذاً». أنا الأستاذ «لونجفلو». فما كان من السيدة إلا أن قالت له وهي تفتح الباب على مصراعيه: «إذا كنت مؤلف «وراء البحار» فتفضل على الرحب والسعة» — «وراء البحار» هو الكتاب الذي وضعه أثر رحلته الأولى الى أوروبا، ووصف فيه تلك السلسلة من الأسفار في بلدانها — وقادته السيدة الى غرفة في الزاوية الشرقية في منزلها قائلة «كانت هذه غرفة الجنرال ومجنطون ويمكنك أن تنزل فيها». وبقيت تلك الغرفة مسكنه طوال السبع عشرة سنة التي قضاها في «هارفارد»

وفي سنة ١٨٤٢ قام برحلته الثالثة الى القارة الأوربية. وبعد ذلك بسنة تزوج مرة ثانية وقضى ثمانى عشرة سنة في هدوء بين أطفاله وعائلته وأصحابه والقصائد التي كان ينظمها ترى

دعى الكاتب الأمريكي المعروف «ناتانيال هوثورن» مرة الى الغداء على مأدبة «لونجفلو» مع صديق للأول. ودار الحديث على الغداء حول قصة جرت وقائمه بين «نوفاسكوتيا» — وهي شبه جزيرة ملحقة بكندا — والولايات الأمريكية الشرقية. فقال صديق «هوثورن» مخاطباً «لونجفلو» «أنا أجرب أن أقتع «هوثورن» بكتابة قصة عن الحادثة، ولكنه لا يرى فيها فكرة لقصة» فسأله «لونجفلو» أن يسرد على مسامحة تلك الحادثة عدله يجد فيها الواد لقصيدة أو أنشودة

ولخص له الصديق الحادث بقوله: «كانت مقاطعة «نوفاسكوتيا» التي كان يسميها الفرنسيون «أكادي» تنتقل من أيدي الفرنسيين الى الإنجليز ثم يترجمها الفرنسيون، وهكذا الى سنة ١٧١٣، إذ انتقلت الى الإنجليز بموجب معاهدة «أوترخت»، وهي باقية تحت سلطتهم الى يومنا هذا. وكان يئلب على سكانها اللم الفرنسي. فنشأت عداوة بين المنصرين الإنجليز والفرنسي، أدت الى منازعات ومناوشات دائمة.

وتفاقت الحال في شبه الجزيرة حتى أصبح من الصعب جداً على الحكومة تهديتها، فاستنطت حيلة لم تعد أنفع منها في تلك الأحوال، وهي نقل «الأكاديين» الى جهات أخرى من أمريكا الشمالية حيث لا يتيسر لهم الأجناع بالسكان الإنجليز. وكانت الطريقة التي نقل بواسطتها أولئك الساكنين غاية في النظرة والفظاظة. طلب الحاكم الى جميع الرجال والفتيان الذين تزيد سنهم على العشر سنوات أن يجتمعوا في الكنيسة، لأنه سيذبح عليهم أوامر هامة من السلطة. واجتمع الرجال والفتيان، وهم يتساءلون عما أوجب حشدهم بتلك الطريقة، وما أن دخلوا الكنيسة حتى حاصرهم الجنود من الخارج، وألقى الكاهن على مسامعهم الأمر الرهيب بصوت ملاء حنواً ورأفة. وفي مدة قصيرة كانت السفن حاضرة على الشواطئ، فحشد فيها السكان بطريقة عسكرية قاسية كان من نتائجها أن تفرقت أسر كثيرة، وأضاع أفرادها بعضهم بمقاً

وكان بين الذين نقلوا الى الولايات الشرقية فتى وصبية كان الكاهن قد عقد قرانهما في ذلك الصباح فقط. فأضاع أحدهما الآخر، وبقيت «ايقانجيلين» تجوب السهول والقفار وتقطع الأنهار، وتنام الليالي على الطوى كل حياتها باحثة عن «جابريل» الى أن انخرطت في سلك المرضات، بعد أن قطعت الأمل من وجوده، ولذاهاها يوماً تلتقي به بين الرضى، ففرفته برغم التغيير العظيم الذي طرأ عليه. وكانت صدمة عنيفة أودت بحياته لضبعفه، وأودت بحياتها هي لسرورها وخزنها المتعاقبين

وما انتهى الصديق من سرد قصته حتى التفت «لونجفلو» الى «هوثورن» قائلاً: «أتدنى يالاً تكتب شيئاً عن هذه الحادثة حتى انتهى من نظم قصيدتي؟» ووعد «هوثورن» وبدأ «لونجفلو» في نظم القصيدة التي خلد فيها بطل ذلك الحادث، تخلدها بدورها، وجعلت «ايقانجيلين» اسمه بطبع بحروف كبيرة على صفحات الجرائد، وتتوارد عليه رسائل الإعجاب ترى

ومن الغريب أن «لونجفلو» لم يرقط مشاهد قصيدته، مع أن الوصف فيها كان مطابقاً للحقيقة كما شهد الذين سكنوا تلك الأمكنة وقد اقتبست من قصة «ايقانجيلين» رواية سينمائية أخرجت في عهد السينما الصامتة، وقامت بالدور الأول فيها الممثلة الكيكية الفاتنة «دولوريس دلبو»



لمحة في تاريخ الرياضيات

بقلم محمد المبارك

بكالوريوس في العلوم

وكثيراً ما كانت تقريبية غير مضبوطة ، عرفت بفضل التجربة — ولا أعني بالتجربة في كل ما تقدم القيام بعمل بقصد منه اكتشاف قضية علمية أو إثباتها كما يفهم منها اليوم ، بل أريد منها ما يصادفه الانسان من المشاهدات والملاحظات أثناء القيام بأعماله الحيوية — فكانت الهندسة في تلك العصور النابرة عبارة عن مجموع طرق لا رابطة بينها لحل المسائل العملية التي تستوجبها الحياة آتئذ ، كعرفة كون كل مثلث متناسب أضلاعه فيما بينها كتناسب الأعداد : ٣ ، ٤ ، ٥ قائم الزاوية . فإينشاء هذا المثلث يمكن الحصول على مستقيمين متعامدين . هذا وإن كثيراً من تلك القواعد تقريبي كما قلنا ليس له قيمة علمية ؛ مثال ذلك أن المصريين كانوا إذا أرادوا مسح ^(١) شكل رابعي ضربوا نصف مجموع ضلعين متقابلين منه في نصف مجموع الآخرين ، مع أن هذا العمل لا يصح إلا في المربع والمستطيل ، وكذا إذا أرادوا معرفة مساحة المثلث أخذوا نصف جداء ^(٢) أكبر أضلاعه في أصغرهما

وأما البرهان على تلك القواعد العملية فلم يروا في أنفسهم حاجة إليه ، واكتفوا بالشاهدة الحسية ، ثم أخذوا بعد ذلك يبرهنون على المسائل براهين تجريبية تستند على الواقع ، لا على المحاكاة المنطقية ، أو على تمهيدات يقدمونها دون أن يبرهنوا عليها كأنها بديهية بنفسها ، وقد بقيت طريقة البرهان مدة طويلة على هذه الحال

وأما الحساب فأحرى أن يكون في صبغة عملية بعيداً عن الصبغة العملية ، إذ هو أكثر تجريداً من الهندسة ، ولنا لم يتم منه حينئذ إلا ما مست إليه الحاجة في الحياة من القواعد البسيطة جداً التي تكاد لا تستحق أن يطلق عليها اسم قواعد إلا بالإضافة إلى عصرها ، فكان المصريون إذا أرادوا ضرب عدد في ثلاثة أضافوه إلى ضعفه ، أو في سبعة أضافوه إلى ضعفه ، ثم

(١) مسح الأرض فمسحها مسحا ومساحة قاسها ونسب مقدار سطحها

(٢) الجداء حاصل الضرب نقول ثلاثة في ثلاثة جداولها تسعة

اجتازت العلوم الرياضية كثيرها من العلوم أدواراً ثلاثة : دوراً إلهياً *théologique* ، ودوراً تجريبياً عملياً ، ودوراً نظرياً مجرداً . فكانت فكرة القوة الميكانيكية فكرة إلهية تمزى إلى الآلهة في جميع حالاتها في تلك الأزمان التي كانت تنسب فيها جميع الحوادث إلى الآلهة المتعددة حينئذ بصورة مباشرة ، وكذلك كانت الأشكال الهندسية مقدسة ، وللأعداد خواص يمتد بتأثيرها ، ومع ذلك فقد أخذت الحقائق الرياضية تتولد تدريجاً بالحدس مستمدة من العمل والتجربة اللذين هما مصدران من مصادر الإلهام ، وينبوعان يستقي منهما العقل البشري أفكاره في كل زمان . وعلى هذا النحو اكتشف كثير من النظريات والحقائق الرياضية ، كتنظرية مساواة مربع وتر لمربعي الضلعين القائمين في المثلث القائم

وكثيراً ما أدت أغراض عملية إلى حقائق نظرية كانت لها خطورة في نشوء العلم وتطوره ؛ فعلمية المساحة عند قدماء المصريين أدت إلى اكتشاف كثير من الحقائق الرياضية . كما أن الفينيقيين اضطروا إلى الحساب استعانة به على أمر تجارتهم ، وكذلك لجأ إليه السكندانيون لزاولتهم الفلك والتنجيم

على أن أكثر الأمور العملية كانت تشوبها أمور دينية ، فعلمية المساحة عند المصريين كانت مهمة دينية يقام لها محفل يحضره الملك . ولا يخفى كذلك أن الفلك عند السكندانيين لم يكن منفصلاً عن التنجيم . فبسبب هذه العوامل اكتشفت بضع قواعد عملية ، لم تصل إلى درجة يؤبه لها من اليقين العلمي ،

ضمفوا الحاصل وأضافوا المدد إليه ، كما أن القسمة كانت بالطرح التوالى ، فلم يكن لهذه العمليات قواعد نظرية هذا يجعل حال الرياضيات في العصور القديمة ، فلنبحث الآن بالتفصيل عما عرض لكل علم منها من الأطوار المتباينة من حين نشوئها حتى بلوغها تلك الدرجة العالية التي وصلت إليها في العصور الحديثة ، ملاحظين في هذا البحث تقسيم العلوم الرياضية الى ثلاثة أقسام .

(١) الرياضيات الشخصية ، وتشمل الهندسة والميكانيك

(٢) الرياضيات المجردة ، وهي على قسمين

- (أ) ما يبحث في الكم المنفصل ويشمل علم العدد والجبر
(ب) ما يبحث في الكم المتصل ويشمل الهندسة التحليلية وحساب التوابع *fonctions* وحساب اللانهائيات *calcul infinitesimal*
(٣) الرياضيات التطبيقية وتشمل المثلثات والهندسة الوصفية *géometrie descriptive* وحساب الاحتمالات

وستقتصر في بحثنا على أهم فروع الرياضيات تاركين البحث فيما هو في الحقيقة ملحق بهذه الفروع المهمة ومشتق منها ، ومبتدئين بأقسام الرياضيات الشخصية ، إذ هي أقدم في الظهور وأسرع في التقدم

(١) الرياضيات الشخصية :

الهندسة : إن ما تركه اليونان من الآثار في هذا العلم يدلنا على أنهم أول من صاغ الهندسة في قالب علمي ، فقد أخذت طريقة البرهان في عهدهم شكلاً عقلياً مجرداً . وربما كان فيثاغورس (٥٥٠ ق.م) أول من أقام البراهين العقلية وحررها من صبغتها العملية التجريبية القديمة . وإليه وإلى تلاميذه يرجع الفضل في أكثر مسائل كتاب الأصول لأقليدس ، وللنظرية النسوبة إليه في المثلث القائم مشهورة ، ولا يعلم على التحقيق كيف كان برهانه عليها . وأما أقليدس (٢٨٠ ق.م) فقد حرر الهندسة ، ونظم نظرياتها ، وهذب براهينها . وكان كتابه إلى ما قبل عهد النهضة الأخيرة أجمع كتاب في هذا العلم ، وقد رتبته على الطريقة الاستنتاجية . قال أبو نصر الفارابي في « إحصاء العلوم » : « والنظر فيها — يعني الهندسة — على طريقتين : طريق التحليل وطريق التركيب ، والأقدمون من أهل هذا العلم كانوا يجمعون في كتبهم بين الطريقتين ، إلا أقليدس

فانه نظم ما في كتابه على طريق التركيب ونحده » ويظهر أن أقليدس لم يكن مؤلفاً لكتاب الأصول ، وإنما كان محرراً . وهذا القول الفيلسوف يعقوب الكندي والفيلسوف اليوناني دريدوخس برقلس Proclus . وقد نقل هذا الكتاب إلى العربية جماعة كثيرون منهم أبو الوفاء محمد بن محمد البوزجاني وثابت بن قرة ، وحرره أيضاً جماعة تصرفوا فيه إيجازاً وضبطاً وإيضاحاً وبسطاً ، والأشهر مما حرروه تحرير العلامة نصير الدين محمد بن محمد الطوسي التوفي سنة ٦٧٢ هـ وهو أحسن تحرير له في العربية (١) وهو مطبوع طبعاً لا بأس به ، يتألف من خمس عشرة مقالة ، ويحتوي على ٤٦٨ نظرية في الهندسة المسطحة والجسمة ، ونظريات الحساب مطبقة على الأشكال الهندسية ، كل ذلك مما لا يختلف كثيراً عما يقرأ في المدارس الثانوية اليوم لا في الكمية ولا في الكيفية . وبلغ عدد من اشتغل في هذا الكتاب من المسلمين من ناقل ومحرر وشارح ومختصر أكثر من خمسة وعشرين عالماً

وقد ألف المسلمون كثيراً في الهندسة ، ونقلوا عن اليونانية كثيراً من كتبها ، وزادوا كثيراً من النظريات ، وبرهنوا على كثير من القضايا التي لم يبرهن عليها في عهد اليونان . فقد ألف محمد بن الحسن بن الهيثم خمسة وعشرين كتاباً في الرياضيات (٢) منها رسالة في برهان الشكل الذي قدمه أرخميدس في قسمة الزاوية ثلاثة أقسام ولم يبرهن عليه . وكتاب في تحليل المسائل الهندسية وشرح لأصول أقليدس وغيرها مما هو مذكور في كتاب طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة (ج : ٢ : ص : ٩٠)

وقد حفظت العربية بعض كتب اليونان الهندسية التي لم يبق إلا ترجمتها العربية مثل كتاب الكرات لمناولوس Menelaus والخلاصة أن الهندسة وصلت في عهد اليونان ثم في عهد العرب إلى درجة من التجريد النظري لا يستهان بها

الميكانيك : نشأ علم الميكانيك بالتدرج من الأمور العملية ، وقد درس أريستو بعض مسائله ، ولكن بصورة عملية مغلوطة

- (١) أنظر ترجمة الكتاب وذكر مترجميه وشراحه ومختصره في الجزء الأول من كشف الظنون ص ١٣٠
(٢) وألف في الطبيعيات والأهليات أربعة وأربعين كتاباً بحسب ما قال هو عن نفسه في حياته ، ونقل قوله صاحب كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، وعدد تلك المؤلفات ، وفيها ما يدل عنوانه على نفاسة موضوعه وخطورة شأنه لو أنه وجد بين أيدينا اليوم

ومع ذلك فقد كان علم الحساب عندهم يبحث عما للأعداد من الخواص الغريبة مما نقل منه كثير إلى العربية ، ولا أعني بالخواص الغريبة هنا السحرية والسكن العملية ، كما لا أعني كل عدد لنصف حاشيته ، أي العدد الذي قبله والسدد الذي بعده ، وكالخواص التي يذكرونها لهذه الأعداد (وهي سلسلة هندسية أساسها الأثنان ومبدؤها الواحد) : ١ ، ٢ ، ٤ ، ٨ ، ١٦ ، ٣٢ من أنك إذا جمعت الأعداد من الواحد إلى أي عدد منها يكون الحاصل أنقص من العدد الذي أنهيت إليه بواحد ، فلو جمعت الواحد والأثنين والأربعة بلغت سبعة ، وهي أقل من الثمانية بواحد ، ويسمون كل عدد من هذه السلسلة (ما عدا الواحد طبعاً) زوج الزوج ، وهو الذي إذا قسمته على اثنين بصورة متوالية تنتهي إلى الواحد وقد تأخر هذا العلم لأسباب ، منها فقدان أصول حسنة للتمداد عند اليونان ، فقد كانت طريقتهم في كتابة الأعداد صعبة السلك يتعسر بواسطتها إجراء العمليات الحسابية ، وهي الطريقة التي يستعملها الغربيون اليوم في بعض الواضع ويسمون أرقامها الأرقام الرومانية chiffres romains وهي هذه C ، L ، X ، Y ، I ، M ، D ، ويقابلها بالعربية : ١ ، ٥ ، ١٠ ، ٥٠ ، ١٠٠ ، ٥٠٠ ، ١٠٠٠

ومن أسباب تأخرهم أنهم كانوا يسلكون في إثبات المسائل الهندية طريقاً هندسية ، وعلى هذا سار أقليدس في أصوله ، فلم يفضل المدد عن المقادير الهندسية . ومنها أيضاً فقدان الأشارات والرموز في العمليات الحسابية . والخطوة العظيمة التي خطاها هذا العلم هي أصول التعداد على أساس العشرة . ولذلك كان من أعظم مآثر المسلمين في الرياضيات نقل الحساب الهندي والأرقام الهندية من الهند إلى سائر نواحي العالم . وهم يسمونها أرقاماً هندية ، لأنهم نقلوها عن الهنود ، والغربيون يسمونها عربية لأنهم نقلوها عن العرب . وأول من أخذ تلك الأرقام عن الهنود واستعملها في مؤلفاته محمد بن موسى الخوارزمي (في القرن التاسع لليلاد) قال الخوارزمي في كتابه تاريخ الحكماء^(١) : « وما وصل إلينا من علومهم - يعني الهند - حساب العدد الذي بسطه أبو جعفر محمد بن موسى الخوارزمي وهو أوجز حساب وأخصره ، وأقربه (١) من ٣٦٦ - ٣٦٧ طبع ليك وهو مختصر كتاب إخبار العلماء بأخبار العلماء للقفطي

أحياناً . وأرخميدس أول من أسس أركان الميكانيك النظرية ، ولكنه كان يعد النظر في الآلات التي يستعان بها على الحياة المادية صناعة خبيثة يترفع العلم عن البحث فيها . وكان العرب يسمون هذا العلم علم الحيل ، قال الفارابي في تعريفه « إنه يبحث في مطابقة جميع ما يبرهن وجوده في التعاليم - أي العلوم الرياضية - على الأجسام الطبيعية »

ولم يصل هذا العلم عند اليونان والعرب إلى درجة تذكر ، فقد كان علماً عملياً ، ولم يتم تأسيسه إلا في العصور المتأخرة ، ويرجع الفضل في تقدمه الأخير إلى سيمون ستيفن Simon Stevin ، وديكارت من علماء القرن السابع عشر ، فهما اللذان فكرا في تمثيل القوة يشعاع هندسي ، ودراسة مبحث القوى بصورة هندسية مما أدى إلى تطور عظيم في هذا العلم . ثم توسع بعد ذلك في هذه الأبحاث لاجرانج Lagrange في كتابه الميكانيك التحليلي سنة ١٧٨٧

ولم يكن تطور علم الميكانيك واحداً في جميع أقسامه ، فقد درس أرخميدس توازن القوى ، وتأخر مبحث الحركة والقوى السببية لها (dynamique) حتى درسه غليلو سنة ١٦٣٨ ، ومبحث الحركة مستقلة عن القوة cinématique حتى درسه أمبير Ampère سنة ١٨٣٤ ، ويلاحظ أن تطور هذا العلم كان متصاعداً التعميم . فمبحث توازن القوى أخص من مبحث الحركة والقوى ، كما أن هذا أخص من مبحث الحركة

(٣) الرياضيات الجبرية :

علم العدد arithmologie : وهو أكثر العلوم الرياضية تجريداً ، ولذلك كان أبطأها ترفياً وتطوراً . ففكرة العدد التي هي أساس هذا العلم لم تستقر إلا بعد تطورات طويلة تقلبت فيها البشرية . فالإنسان في حالته الابتدائية لا يدرك منها سوى الوحدة والكثرة ، فهو يعلم الواحد والأثنين والكثير ، ولا يفرق بين العدد والمعدود ، ولربما اختلفت أسماء الأعداد باختلاف معدوداتها ، إذ ليس للعدد مجرد مفهوم عنده ، ولذلك يستعين بأصابعه وكثير من أعضائه أو بالخصى والأحجار في التعداد ، ومن ثم كان اعتبار العشرة والمشرين أساساً في الترقيم بحسب أصابع اليدين أو أصابع اليدين والرجلين عند الأقوام الحفاة الأقدام . وكان اليونان يفرقون بين الحساب العملي والحساب النظري ،

بينهما خطأ فني ، على حين أن ديوفانتس كان يجعلها على عكس هذا الوضع ، والبيزنطيون يضمنون المنحرج فوق الصورة كما نضع نحن الآن القوة أو الأس فوق العدد

والعرب يرمزون للمجهول بكلمة شيء . قال بهاء الدين العاملي في كتابه خلاصة الحساب « يسمى المجهول شيئاً ومضروب في نفسه مالا ، وفيه كعباً ، وفيه مال المال ، وفيه مال الكعب ، وفيه كعب الكعب إلى غير النهاية » ويسمون مقلوب هذه المقادير - جزء الشيء وجزء المال وجزء الكعب وهكذا . ولنضع بجانب كل منها مصطلحه الحالي :

شيء : س ، جزء الشيء : $\frac{1}{س}$
 مال : س^٢ ، جزء المال : $\frac{1}{س^2}$
 كعب : س^٣ ، جزء الكعب : $\frac{1}{س^3}$
 مال المال : س^٤ ، جزء مال المال : $\frac{1}{س^4}$
 مال الكعب : س^٥ ، جزء مال الكعب : $\frac{1}{س^5}$
 كعب الكعب : س^٦ ، جزء كعب الكعب : $\frac{1}{س^6}$

فيقال مثلاً للرمز س^{١١} مال كعب كعب الكعب ولقلوبه جزء مال كعب كعب الكعب ، وكذلك كانوا يطؤون قاعدة ضرب هذه القوى أو هذه الأجناس كما كانوا يسمونها بعضها ببعض ، وقسمتها مع اعتبار الجهة ، فيجمعون الأسس أو يطرحونها . وقد ذكر العاملي في كتابه المذكور قواعد ضربها ثم قال : « وان كان - يعني في أحد المضروبين - استثناء ، يسمى المستثنى منه زائداً والمستثنى ناقصاً وضرب الزائد في مثله والناقص في مثله زائداً والمختلطين ناقص ، فمضروب عشرة وثنى في عشرة إلا شيء - مائة إلا مالا »

وفي اصطلاحنا : (س^{١٠} + س) (س^{١٠} - س) = ١٠٠ - س^٢
 ويعد أن أورد أمثلة عديدة على الضرب قال : « تفرض المجهول شيئاً وتعمل ماتضمنه السؤال إلى أن تنتهي إلى المعادلة ، فالطرف ذو الاستثناء يكمل ويزاد مثل ذلك على الطرف الآخر وهو الجبر ، والأجناس التجانسة المتساوية في الطرفين تسقط ، وهو المقابلة » ثم قسم المعادلات إلى ستة أنواع وبين كل واحدة وطريقة حلها وأتبع ذلك بمسائل منها هذه : « رمح مركوز في

تناولاً وأسهله مأخذاً ، يشهد للفند بكاء الخواطر وحسن التوليد وبراعة الاختيار والاختراع » ومن اسمه اشتق التريون لفظة algorithmique التي كانت تدل على الطريقة العشرية في الحساب ، وقد مزج الخوارزمي بين ما تمكن من الوصول إليه من أصول الحساب عند الهنود وأصول الحساب عند اليونان ، واستخرج من ذلك الحساب والجبر العربي ، وهو أول من ألف في الجبر ، وقد انتشرت مؤلفاته في أوروبا في القرن الثاني عشر للميلاد حيث ترجمها إلى اللاتينية Adelharp de Bath و Gerard de Erémone

الجبر : كثيراً ما يذكر بأن ديوفانتس Diophante (في القرن الثالث للميلاد) أول مشتغل بالجبر ، مع أن جل ما وصل إليه أنه كان يستعمل حروفاً في العمليات الحسابية يأخذها من الألفاظ الدالة على العملية المراد إجراؤها

واستعمال الحروف للدلالة على المقادير كان معروفاً منذ أرسطو ، وكان ديوفانتس يرمز للمجهول ولقواه حتى القوة السادسة ، ولقلوب هذه المقادير وللوحدة بحروف مختزلة من أسماءها اليونانية ، ويتبع كل رمز بأمثاله العديدة ، ففي ذات الحدود الكثيرة polynôme توضع الحدود الموجبة مرتبة بجانب والسالبة بجانب آخر يفصل بينهما بهذه الإشارة T الدالة على الطرح والتي هي مأخوذة من كلمة يونانية تدل على الطرح .

فالتقدير الجبري : س^٦ - ٦س^٥ + ١٥س^٤ - ٢٠س^٣ + ١٥س^٢ - ٦س + ١

يكتب هكذا : cc I qq XV ٩ X V uI T qcVI c XX N VI
 فالحرف c الدال على التكعيب أعني القوة الثالثة مأخوذ من كلمة cupe والحرف q الدال على التربيع أعني القوة الثانية مأخوذ من كلمة quadratus والحرف u الدال على الوحدة مأخوذ من كلمة unum

وكذلك للمساواة والجذر رموز حرفية تدل عليها مأخوذة من ألفاظها اليونانية ، كما أن قواعد ضرب المقادير الجبرية ذات الحدود الكثيرة مع اعتبار الجهة ، أعني الموجب والسالب كانت معروفة لدى ديوفانتس

وأما العرب فلم يستعملوا الرموز الحرفية ، وإنما استعملوا كلمات بأجمعها دون اختصار ، وهم الذين وضعوا رمز الكسر فجعلوا صورته أو بسطه في الأعلى ومخرجه أو مقامه في الأسفل يفصل

أما الأشارات التي نستعملها اليوم فهي متأخرة الظهور ،
فاشارة الناقص (-) ترجع الى القرن الثالث عشر ، ولا يعلم
أصلها ومصدرها ، و اشارة الزائد (+) ترجع الى القرن الرابع
عشر ، إذ شاع استعمالها في ألمانيا ، على حين أن علماء إيطاليا ظلوا
مدة يستعملون للزائد والناقص حرفي m , p من كلمتي moins, plus
وأما اشارة المساواة = فهي من اقتراح العالم الانكليزي
Recordre سنة ١٥٥٦ ، وقد اتخذها نيوتن وواليس ، فعم استعمالها
في انكلترا ، على حين أن ديكارت في فرنسا كان يستعمل هذه الاشارة
∞ وكثير غيره كانوا يستعملون لذلك خطين رأسيين متوازيين
هكذا : ||

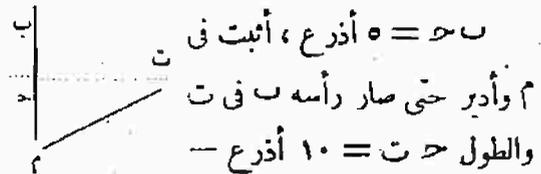
الأس أو قوة الرفع : أول من أشاع استعمالها على الشكل
المعروف الآن ديكارت ، ولكن منشأها يرجع الى عهد أقدم من
ذلك ، وكان علماء هولندا يكتبون الأس في دائرة صغيرة فوق
العدد المرفوع

وأما اشارة الجذر الدالة على درجة الجذر فهي متأخرة أيضاً ،
فقد كان ديكارت نفسه يستعمل للجذر التربيعي هذه الاشارة : √
وللتكبيبي هذه : √_٣ ، يدل على التكبيبي الذي هو درجة
الجذر من كلمة cube ومن المستبعد أن تكون هذه الاشارة كما
يزعم البعض جيا عربية مقلوبة ح اختزالاً لكلمة جذر ، فليس
لهذا القول من مؤيدة تاريخي ، وها هي الكتب العربية القديمة
في الرياضيات الموجودة الآن خلو منها

الأقواس : هي كذلك متأخرة الظهور ، ففي النصف الأول
من القرن السابع عشر كانوا يضعون خطأً أحياناً فوق الحدود
التي يراد إجراء عملية واحدة عليها ، ولا يزال هذا الاستعمال
في المجدورات √

وأما الاشارات الثانوية كاشارة الضرب والقسمة فلم يتم
وضعها كذلك إلا بعد ظهور الجبر الحديث
ويرجع الفضل في ظهور الجبر الحديث الى فرانسوا فييت ،
فهو أول من أجرى العمليات الجبرية مع استعمال الحروف
والاشارات ، وقد أراد أن يستبدل كلمة جبر « البربرية » كما يقول
بكلمة تحليل analyse ولكن هذه التسمية الجديدة لم تلق نجاحاً ،
وإنما بقيت كلمة تحليل منصرفه الى فروع أخرى من الرياضيات
وجملة القول أن ترقى الطريقة الرمنية في الرياضيات وذيوع

حوض ، والخارج عن الماء منه خمسة أذرع مال مع ثبات طرفه
حتى لاقى رأسه سطح المكان ، فكان البعد بين مطلع من الماء
وموضع ملاقاته رأسه له عشرة أذرع فكم طول الرمح ؟ - أقول
توضيحاً لكلامه : الرمح هو (م) والخارج عن الماء منه هو



تفرض الغائب في الماء شيئاً ، فالرمح خمسة وثنى ، ولا ريب
أنه بعد الميل وتر قائمة أحد ضلعها عشرة أذرع ، والآخر قدر
الغائب منه ، أعني الثنى ، فربع الرمح أعني خمسة وعشرين ومالا
وعشرة أشياء ، مساوٍ لربعي العشرة والثنى أعني مائة ومالا . وبعد
إسقاط المشترك يبقى عشرة أشياء معادلة لخمس وسبعين والخارج
من القسمة سبعة ونصف ، فالرمح اثنا عشر ذراعاً ونصف ذراع «
وعلى حسب اصطلاحنا تجرى المعادلة هكذا

$$٢(٥ + م) = ٢١٠ + م$$

$$٢٥ + م + م = ١٠٠ + م$$

$$٧٥ = م$$

$$م = ٧٥$$

والذي توصلوا إليه في الجبر هو حل المعادلات من الدرجة
الثانية ، وقد ذكر الأمير شكيب أرسلان في حاضر العالم الاسلامي
أن عمر بن ابراهيم بسط حل المعادلات من الدرجة الثالثة ، ولم
يزد ذلك فيما بين أيدينا من كتب المتقدمين كالياسمينية وخلاصة
الحساب وشروحها ، ولا ندرى من عمر بن ابراهيم هذا هل هو
الخيّام الفيلسوف الفارسي المشهور أم غيره ؟ وعلى كل فعسى أن
يقض الله لهذا السر من يكشفه

هذه نبذة يسيرة من الجبر العربي يتضح منها أن هذا العلم
وصل في عصور المدنية الاسلامية الى شئ كثير من التجريد برغم
فقدان الاشارات والرموز واستعمال الألفاظ الدالة على المجهولات
دون اختزالها

ولما انتقل الجبر الى أوروبا بواسطة المسلمين عم استعمال
الحروف بطبيعة الأمر وتأثير بعض العلماء كفرنسوا فييت
(١٥٤٩ - ١٦٠٣) وديكارت

في تاريخ الثلثات أن أبا ريجان البيروني هو أول من اعتبر نصف قطر الدائرة واحداً قياسياً في أبحاث الثلثات^(١)

هذه صورة مجملة عن تاريخ العلوم الرياضية يبين لنا منها أن المدنية الإسلامية حلقة هامة من حلقات هذا التاريخ وركن أساسي عظيم في هذا البناء، فالسلمون هم الذين وضعوا علم الجبر وحفظوا تراث اليونان، وهم الذين نقلوا عن الهند الأرقام ونظام كتابتها المعروف اليوم، وتمهدوا كل ذلك بالعبارة شرحاً وتهذيباً وتنقيحاً وتوسيعاً، وأحدثوا كثيراً من النظريات، فكان لقرابتهم الفياضة من الأبحاث، ووضعوا كثيراً من النظريات، فكان لقرابتهم الفياضة أثر يبين لا يزال العلم يحفظه لهم، وما أثر خالدة لا تنى المدنية العلمية عن الأشادة بها، وبالجملة فليس من شك في أن ما خلده من الآثار في هذه العلوم كان تمهيداً مباشراً لما حدث فيها من التقدم والرقى في العصور الحديثة

محمد المبارك

بكالوريوس في العلوم

دمشق

(١) شكل القطاع ص : ١٢٧

الأسپرانتو Esperanto

أسهل اللغات في التعلم ، وأوقعتها لسد مطالب الاتصال بأقوام غتلقى الألسن

انرسها واستخدمها

أرسل في طلب النشرة نمرة ٣٠ وكذلك « المفتاح » الذي يحوى أجرومية هذه اللغة ومفردات تبلغ ٢٠٠٠ كلمة وهو يرسل نظير ٢٠ ملياً طوابع بريداً أو قسيمة بریداً للجوابه
مدرسة الأسپرانتو بالراسد لتسكلمى اللغة العربية

ص . ب ٣٦٣ بورسعيد - القطر المصري

الإشارات والرموز أدى إلى ترقق عظيم في العلوم الرياضية ، بل إلى ظهور فروع جديدة كالمهندسة التحليلية

المهندسة التحليلية وحساب التفاضل

إن علم الجبر أدى تدريجياً باستعمال الحروف للدلالة على المقادير إلى فكرة التابع fonction وقد كان اليونان كما تقدم يعبرون عن القيم العددية بأطوال هندسية ، وبذلك تمكنوا من حل بعض المسائل الجبرية هندسياً ، وهم وإن كانوا لم يتوصلوا إلى المفهوم العام للاحداثيات coordonnées فدراساتهم للقطوع المخروطية الناقص والزائد والكافي، شبيهة جداً بالمهندسة التحليلية ، فقد كانوا يبدون تعريف هذه القطوع ينسبون نقاطه إلى قطر أو محور ، ويحصلون على علاقة بين الفاصلة abscisse والترتيب ordonnée وعلى كل فأنهم درسوا خواص بعض المنحنيات بقصد حل المسائل ، ولقد كان مفهوم الموجب والسالب للكليات لم يتمكنوا من التوسع في ذلك

وهذه الفكرة أعنى فكرة التابع إنما وجدت واضحة للمرة الأولى في كتابات نيقولا اورسم Nicolas Oresme في القرن الرابع ، إلا أنه اقتصر على الكميات الموجبة . وقد كان افرانسوا ثييت أثر يبين في رقى المهندسة التحليلية التي ظهرت ظهورها الرائع أخيراً على يد ديكرت سنة ١٦٣٧ ، ومع هذا فقد احتوت هندسة ديكرت على مسائل تقريبية أو غير مضبوطة

(٣) وأما الرياضيات التطبيقية فهي متفرعة عما تقدم ذكره من أقسام الرياضيات ومتأخرة في النشوء والظهور ، إذ أنها كانت مبعثرة مندمجة في العلوم التي كانت منبعها الأصلي ، ولم تنسلخ عنها وتظهر بالصورة التي هي عليها الآن إلا في العصرين الأخيرين ، هذا إذا استثنينا الثلاثات trigonometrie التي اتسعت بقسمها المستوية والكروية منذ عهد قديم لشدة الحاجة إليها في الحسابات الفلكية . وللعامة نصير الدين الطوسي كتاب في الثلثات الكروية اسمه شكل القطاع^(١) وقد اشتغل في هذا العلم غيره من المتقدمين كأبي ريجان البيروني وأبي الوفاء محمد البيروني وأبي جعفر الخازن وأبي فضل الله البرزنجي ، فقد ألقوا فيه كثيراً ووضعوا نظريات جمة هي من أهم نظريات هذا العلم . ومما هو جدير بالذكر

(١) مطبوع مع ترجمة فرنسية له في القسطنطينية ١٣٠٩ هـ

البربري الأدبي

اليابان سنة ١٩٣٤

ومثل هذا الحادث قد يكون أول انتصار اليابان على الصين ، أو انتصارها على روسيا ، أو تنازعا مع الصين والروسيا على تحقيق الامبراطورية الكبرى التي تسمى اليابان الى تحقيقها باسم الشعوب الصفراء ، ذلك أن شعوب الصين المختلفة قد ترغم غداً على أن ترى في اليابان ما رأته الأمم الجرمانية من قبل في روسيا ، أعني زعبياً ومعلماً وقائداً

ذكرى العلامة الطبيعي بريم

تحتفل الهيئات العلمية الألمانية بالذكى الحسينية لوفاة العلامة الطبيعي الألماني الفرده آدموند بريم ، وقد ولد بريم في تيرنجن في فبراير سنة ١٨٢٩ ، وكان أبوه قساً يعنى بتربية الطيور ودرس خواصها ، فنشأ ولده بريم شغوفاً بهذه الناحية من الدرس ، وفي سن الثانية عشرة سافر الى أفريقيا مع البارون فون ميلر في رحلة علمية دراسية ، ومر بالقاهرة يومئذ (سنة ١٨٤٧) فصادف بها الزلزال الشهير الذى وقع فيها عندئذ وكاد يهلك ؛ ثم سافرت البعثة الى النوبة والسودان ، واصطادت كثيراً من الحيوانات المختلفة ؛ وعكف بريم على دراسة خواصها المادية والروحية ، وفي أثناء عودته الى القاهرة كانت بعثة « لوبو » الشهيرة « بجيته » فكان يطوف بها الشوارع ذلولاً مطيعة ، ثم عاد بريم من القاهرة بعد عامين الى البفر مرة أخرى مع أخيه وزميل آخر ، واعتزموا اختراق السودان حتى منابع النيل ، ولكن البعثة كانت غير موفقة ، إذ غرق أخوه في النيل ، وفقدت موارد البعثة ، وعندئذ أمده حاكم السودان لهتيل باشا بشيء من المال ليتابع رحلته على ضفاف النيل الأزرق ، وهناك اصطاد كثيراً من الحيوانات وأفق نحو خمسة أعوام في هذه الرحلة ، واكتشف فيها كثيراً من الحقائق العلمية ؛ ثم عاد الى ألمانيا ، وانكب على دراسة العلوم الطبيعية ؛ ونال إجازة الدكتوراه من جامعة بينا في علم الحيوان سنة ١٨٥٦ واتخب عضواً في الأكاديمية البروسية لللكية ، وأخذ منذ ذلك

تتير نهضة اليابان العسكرية والاقتصادية في الأمم الغربية أيما اهتمام وجزع ، ذلك لأنها تسير بخطى الجبارة ، ولا تقف عند حد ، وتحمل في طريقها كل شئ . كانت اليابان قبل خمسين عاماً فقط محصورة في جزاؤها لا يزيد سكانها على ثلاثين مليوناً ؛ أما اليوم فهي امبراطورية عظيمة ، تسيطر على كوريا ومنشوريا وتضم من منغوليا ، ويبلغ سكانها وسكان الأراضى التي تسيطر عليها نحو مائة وعشرين مليوناً

وقد أصدر الكاتب الفرنسى موريس لاشان عن اليابان ونهضتها تحقيقاً جامعاً في كتاب عنوانه « اليابان سنة ١٩٣٤ » وفيه يلقى الضياء على بعض الحقائق المدهشة ؛ فان اليابان مثلاً ما زالت تجمع بين روحها وتقاليدها القديمة وبين روح الدولة الحديث ؛ وما زالت صور الأقطاع والمبودية القديمة تثقل كاهل الشعب ؛ والشعب ترغمه التقاليد والتراث الروحى القديم وحب الامبراطور على الخضوع وللطاعة ، وهو يضطرم بنوع من الاشتراكية الزنوية . ويلاحظ الكاتب أيضاً أن قوى الشعب الياباني كلها ، والامبراطور ، والجيش والبحرية ، وأقطاب المهد القديم من جهة وقوى الرأسمالية ، وكل الجموع البائسة التي يفص بها العمل من جهة أخرى ، كلها تعمل في نفس الاتجاه وبغفس الروح ، ولنفس الغاية ، وهى افتتاح أسواق الصين ، والسيطرة على المحيط الهادى ، بل هى في الواقع غزرو العالم كله ؛ وقد غزت اليابان بالفعل جزائر الهند الشرقية ، وأخذت تهدد قاعدة سنغافورة ، واستراليا ، ووصلت تجارتها الى شواطئ المحيط الهندى ، وتعدت الى بلاد الحبشة ، وجازت مضيق عدن وقناة السويس ، وانتشرت على شواطئ البحر الأبيض المتوسط ويتوقع المسيو لاشان أن النزاع قد يضطرم عما قريب بين اليابان وأمريكا ؛ ولكن يجب لاضطرامه أن يقع حادث ما ؛

البترول من ماء البحر

كتب المهندس الفرنسي مسيو ساهير إلى الحكومة الفرنسية ينيهاً بأنه وصل إلى طريقة لاستخراج البترول من ماء البحر العادي ، وأنه على استعداد لأن يبيعهما سر هذه الطريقة نظير ٢٥ مليوناً من الجنيهات

وقد قالت جريدة « الماتان » في تعليقها على هذا التبا إن المهندس ساهير واثق كل الثقة من طريقته ، وأنه دعا إلى معمله بمدينة « روين » بعض الخبراء في وزارة الحربية والطيران ليشهدوا التجربة

وقال مسيو ساهير في حديث له مع مندوب « الماتان » إنه لاحظ أن المناطق الغنية بالبترول توجد بها عدة كميات كبيرة من الماء الملح . وأن هذه الملاحظة هي أساس الفكرة التي أوصلته إلى استخراج البترول من ماء البحر ، لأنها دلته على أن الماء الملح لا بد أن يكون من العناصر الأساسية

الأدب وسبيل التفاهم الدولي

أذاعت إحدى دور النشر الكبرى في برلين أنها تخصص جائزة قدرها عشرون ألف مارك (نحو ١٥٠٠ جنيه) لمن يضع أحسن كتاب قصصى عن مسألة التفاهم بين فرنسا وألمانيا . والمفهوم أن إنشاء هذه الجائزة كان بإيعاز من وزارة الدعوة ؛ وقد وافق وزير الدعوة المير جيلز على أن يكون المهر هانز يلونك رئيس الجمعية الاشتراكية الوطنية (المتلرية) للكتاب الألمان هو الحكم الوحيد في خص الكتب المقدمة وتخصيص الجائزة . وقد علقت الصحف الفرنسية على هذا التبا بأنه من بعض أساليب الدعوة المتلرية التي يراد بها إخفاء نياتها الحقيقية نحو الاستعداد للحرب

مترجم

تحتاج الرسالة الى مترجم ضليع
في اللغتين العربية والفرنسية

الحين يكتب عن حياة الحيوان ؛ ثم قام برحلة في أسبانيا ، وأخرى في لابلاندا وجزائر لوفرن ؛ ثم قام برحلة أخرى في شمال الحبشة في سنة ١٨٦٢ ، وكتب كتباً عن هذه الرحلات والمباحث كلها . ولما عاد إلى ألمانيا كتب مع زميلين له كتاباً مصوراً عن حياة الحيوان في ستة مجلدات اختص منها هو بأربعة ؛ وعين مديراً لمخبرية الحيوانات في برلين وهبورج مدى حين . ولكن شغف البحث حمله مرة أخرى ؛ فسافر إلى سيبيريا الشرقية ، وكاد يهلك في هذه المرة ، وسافر إلى أمريكا الشمالية سنة ١٨٨٣ ، ولما عاد إلى ألمانيا لم يمكث طويلاً حتى توفى في ١٠ نوفمبر سنة ١٨٨٤ وكتب برسم عن حياة الحيوان من أشهر الآثار وأقيمها في هذا الموضوع ، وهو يعتبر أستاذ موضوعه في العلم الألماني ؛ ولم يسبقه ، بل ولم يأت من بعده أحد استطاع مثله أن ينفذ إلى روح الحيوان وإدراكه ، وقد ترجم أثره إلى جميع اللغات

مير الأكاريمية الفرنسية

مضى اليوم على تأسيس الأكاديمية الفرنسية ثلاثمائة عام كاملة ؛ ذلك لأنها أنشئت في عهد لويس الثالث عشر ، في أوائل سنة ١٦٣٥ ؛ أسسها جماعة من النبلاء الأدباء برعاية الكردينال ريشيليو الحبر السامى وزير لويس الثالث عشر ، فكانت من خالد آثاره ، وسيجى الاحتفال بهذه الذكرى بمنتهى البساطة ، ويقام لذلك معرض في المكتبة الوطنية في شهر يونيه القادم ؛ وستمرض فيه طائفة من الوثائق الخطية الشهيرة الخاصة بالأكاديمية ، ومنها مسودة الخطبة الأولى التي أعدها السيد بول هاى صاحب الشائيه لالقائها في أول جلسة للجماعة العلمية في ٥ فبراير سنة ١٦٣٥

وقد تساءلت إحدى الصحف الأدبية الكبرى بهذه المناسبة عما إذا كان السيد رنيه دوميك سكرتير الأكاديمية يقبل أن يضم هذا المعرض التذكارى بعض الصور الرمزية المضحكة التي أوحى بها تقاعد الأكاديمية عند إصدار « قاموسها » الشهير ، وما وقعت فيه من الأغلاط النحوية ، وسها اللوحة الشهيرة التي رسمها « فيرتير » ، وعنوانها « دفن قاموس الأكاديمية » ؟

القصص

عمامة الأفندي

للأستاذ محمد سعيد العريان

وَسَرَّتْ لَنَا نَفْسُهُ ، وَتَمَّصْنَا مِمَّا بِهِ رُوحَ الْكَلْبَةِ وَالرُّوحَةَ ؛
فَأَسْكَنَّا عَنِ الْحَدِيثِ لِحَظَاتٍ
وَرَفَعَ الشَّيْخُ رَأْسَهُ بَعْدَ هَنِيئَةٍ ، وَتَحَرَّكَ شَفْتَاهُ بِكَلَامٍ ،
فَتَقَصَّفْنَا عَلَيْهِ نَسْتَمِعُ لِمَا يَقُولُ

وسأل : « ما لديكم من أبناء صاحبنا عاطف ؟ »

قلنا : « لقد انقطع عن نادينا من زمان بعيد ، فلم له على
مُشْغَلٍ يَمُضُ شَأْنُهُ ؛ وَإِنْ لَذَاتِ الْحَيَاةِ لِحَبِيبَةٍ إِلَيْهِ ، فَأَرَاهُ قَدْ
مَنَعَهُ لِقَاءَنَا إِلَّا لَهْوُ آثَرِهِ عَلَيْنَا ، أَوْ لَذَةُ دَعْتِهِ قَلْبَاهَا ؛ أَوْ لَمَلُهُ
بِنَفْسِنَا مِنْ دُنْيَاهِ الْجَدِيدَةِ ظِلَالِ الْحُبِّ وَالسَّمَادَةِ »

قال : « بل دنياه الجديدة ، ولكن ليس فيها من السعادة
والحب ولا ظلمهما ؛ وَلَكِنْ مَكَابِدَةُ الْأَحْزَانِ ، وَالْمُ الْوَحْدَةِ ،
وَمَشَقَّةُ الْحُرْمَانِ ، وَظِلَامُ الْيَأْسِ ! »

ورنت كلماته في أذني رنيناً مفرعاً سمعت صداه في قلبي ؛
فقد توقفت صلتني بعاطف صبيّاً وغلماً وشاباً ؛ فأبى أمل كان
يجيش في تلك النفس ، وأبى روح كان يحمل ذلك الجسد ، وأبى
حيوية كانت تصطرع من ذلك الشباب !

فما كربني كربٌ ونظرتُهُ إِلَّا عَادَتِ الْحَيَاةُ فِي عَيْنِي بِاسْمَةِ نَضْرَةٍ ،
وَمَا أَهْمَنِي هُمْ فَلَقِيْتُهُ إِلَّا بَعَلْتِ مِنْهُ فِلْسَفَةَ الرُّضِيِّ بِمَا هُوَ كَاتِنٌ ،
وَكَانَ مِنْ بَهَائِهِ وَإِسْرَاقِ طَلْعَتِهِ ، إِلَى كَلَالِهِ وَعَفْتِهِ — كَأَنَّهُ
فَتْنَةٌ مُسْتَحْيِيَةٌ . . .

وأخذ الشيخ يقص علينا من نبته ، ونحن نستمع إليه
في صمت

كان عاطف على ما انبسط له من النعمة ، وما اتفق له من
حسن الرأي — لا يؤمل في الزواج إلا من فتاة ذات مال . ولقد
كان عجبياً عندنا أن يكون على هذا الرأي ، وهو من نعرف من
شباب الجيل الجديد ؛ ولكننا لم نكن لنستطيع على ما نعرف في
مهاجرة رأيه — أن نعرفه عن بعض ما كان يعتقد . وراح في سبيل
غايته يبحث عن الزوجة الغنية على أبواب المجلس الحسبي . . . !

طال بنا انتظار صاحبنا (المأذون) في هذه الليلة حتى دقت
العاشرة ولم يجيء ، وكنا نرقب مقدمه علينا كل مساء رغبة
المشاق ، فما تخلف منذ عرفناه ليلة ، وإنه ليقدم فيجلّ البشرُ
ويستخفنا السرور ، سرور النفس بتغايته ، وسرور المدة
بمجلّواه ؛ فقلما كان يوافينا إلا ومعه هدية من عرسٍ تنوزعها
بيننا . ولم يكن لمقدمه ميعاد ، فانه لعلّى تجوال دائم ، يتأبط دفتره
من دار الى دار ، رسول سلام وحب ، أو رسول فرقة وقطعة ا
رتوزعنا الظنون من غيبته ، وحسبناه قد أصاب الليلة
حظاً من عرس ، فيجلّ علينا بمجلّواه ومرق الى الدار ؛ فما كنا
لنتركه حين يقدم علينا إلا فارغ الجيب من الحلوى وغير الحلوى
فما يجمع من الأعراس ، وما كان ليتركنا إلا فارغاً رءوسنا
من كثرة ما نضحك من دعابته وهزله . وإنه لشاب ضحكة (١)
جريء على النكتة ، ليس فيه زمانة الشيوخ من أهل هذه الطائفة
ونهباناً لاستقباله بفيض من النكات المصنوعة ، لعلنا ننال
منه لقاء ما كان يُشبعنا كل مساء من عبث ودعابة ؛ فقد كان له
في كل ليلة هدف من الجلساء يقنّدر عليه ويتخذهُ ضحكة (٢)
فما ينصرف عنه إلا مُغْتَضِباً لِيَتَرْتَضَاهُ فِي غَدَا .

وجاء بعد قليل ، فحياً وجلس ، ولكنه كان عابساً مبهوراً
ما يكاد جفنه يطرف ؛ كغيبنا من وراء مظهره العابس نكتة
مبتكرة ، فما عهدناه يألم في الحياة لشيء ، وإن الموم لتصطرع
عن عيئه وشبهه

وهمنا به تتناوله بما أعدنا له من عبث ، فإذا كَلَّمْنَا تَنَسَّقَطُ
حواليه ولا تصييه ، وظلّ على حاله من الغضب والبوس

(١) الضحكة (بضم ففتح) الكبر الضحك (٢) والضحكة (بضم
فكون) الذي نضحك منه

وخرج عاطف من الدار والقيدو تعلق في رأسه ؛ لقد
ابتدأ يعرف ما هنالك ، ولكنه لم يجروا على التصريح . أياكون
ذلك من قوانين البر ، أهو كذلك ناموس الرحمة والعدل ؛
أيمض الأخ أخته فيحرمها الاستمتاع بالحياة من أجل المال ،
من أجل مالها الذي يخشى أن يفلت من يده إلى الزوج يتصرف
فيه كيف يشاء ؛ وما يضيره من ذلك وإن له لضعف ما تملك
أخته السكينة ، وإن ماله ليكفيه ويفضل عن حاجته ، ولكن ...
ولكن أين هو الفضل منذ سنوات ؟

لكل ما هو مستخدم على أن يجمع المال فييده هنا وهناك ،
وما له من ذلك إلا اللقمة ، وما تتماز كثيرا من لقمة الفقير ؛ وإلا
الثوب ، وإنك ترى الثياب الغالية تُزهي بها من هم دونه من
عامة الناس ؛ أما فضل المال فله مصرف من وراء ذلك ؛ على المرأة
والكأس والقار ...

وهم عاطف أن يعود فيصرخ في وجهه بما عرف من أمره
وسوء تدييره ، ولكنه كظم النياط على ألم وضيق
وتلاقيا بعد أيام ، وكانت القدر ما تزال تعلق ؛ فملا الزبد
بترشش مُصرحا عن غضب مغيظ ... وأتفرق الرجلان على
خصومة وعداء ... !

ودق عاطف باب المحكمة لعلها أن تحمل زوجته على (الطاعة)
أين هي السكينة ؟ وعلى طاعة هي أم على عصيان ؟ إنه لم يرها
إلا مرسومة في ورقة ، أتراها في الأحياء ، أم هي من وراء
جدران سجنها جثة بلا روح ، وجسد بلا عاطفة ، وطاعة بلا
ارادة ، ومعدة بلا وجدان ... !
ويحك أيها السكينة ! أتشرين أنك في الأحياء ؟ لعل في
الوقت من هم أقرب منك إلى الحياة ، لأنهم يعيشون من عواطف
أهلهم في عواطف حية وحب مشبوب ... !

وفي المحكمة رأى الفتى عروسه لأول ما براها ، وقد جاءت
تسى عن أمر أخيها تطالب زوجها بالنفقة والكسوة والمأوى ؛
بالسخرية ؛ أذاق بها آخرها طاعمة كاسية من مالها عنده ؛
فيدفعها إلى القضاء تلتمس القوت واللباس ... !

وكان بينهما ما يكون دائما بين كل زوجين يرفان المحكمة
الشرعية ؛ في كل يوم بينهما (جلسة) للقضاء ، وكل منهما
يفتن في الكيد والاعاظة ، والغالب منهما من ينال من صاحبه
من غير عائدة عليه ؛ والمال يتسرب من بين أيديهما للمحاي

ووجدتها بعد إذ جد فأعيا ؛ ولم تكن جميلة ، ولكنها
كانت بعيدة من الدامة ؛ وكانت جاهلة ، ولكنها من بنات
الحاضرة . وقد مات أبواها وخلفا لها قصرا وضيفة ، وأخا
يقوم عليها وعلى الضيفة جميعا

واستوثق الفتى من غنى ضاحته ، فأقبل بخطبها إلى أخيها
وقد اجتمعت له الأسباب . وأدى المهر ؛ مهر الضيفة والقصر
والعروس ... وعقد له على فتاه

لقد غبطناه يومئذ على النعمة ، نعمة الثروة والجاه والزواج ،
وما عسانا لكم دفع وكم أنفق ؛ فقد كنا على ثقة بأن حبه
مردودة إليه سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة . ورحنا نهم
أنفسنا بفساد النظر وأفسن الرأي وسوء التديير

ومضى أسبوع ، وشهر ، وأشهر ، وأوشك العام أن
ينتصف . وعاطف مهتل الوجه ، ضاحك السن ، يحلم بالقد
القريب يوم تُرف زوجته إليه ، وتُرف ثروتها إلى خزائنه ...
وسبى إلى صهره يستعجله ، فإذا هو يبسط له المدي ، ويفسح
الأجل ، ويستشفع بالتقاليد ...

وعاد الفتى إلى نفسه . يطعمها ويرتضاها . وما عليه من
ذاك ؟ أليست سُزق إليه لاعمالة في يوم قريب أو بعيد ؟ بلى ؛
ولها زوجته ، ماني ذلك شك ولا إنكار ؛ فلا عليه أن ينتظر ؛
وإدار دولاب الزمن قائم دورة ، وراح الفتى يستعجز صهره
الوعد ، فقابلته وهو يتشم ، وبسط له وجهه وجلسه ، وأخذ
ينتقل به في الحديث من فن إلى فن حتى زالت وحشته ،
وأرست روحه ؛ فودعه ولم يظفر بجواب ... !

وتولت الأيام بمضها في أعقاب بعض ، وتصرفت الأشهر
شهرًا في أذيال شهر ؛ وما يزال صاحبنا يراوح بين جنبه في فراش
الوحدة ، وعروسه هناك من دونها الأبواب والحارس المتيد ؛
وملّ الفتى مقامه ، وضافت به نفسه ؛ فراح يطلب
التعجيل في الزفاف فيلحف ، وأخو الفتاة في هدوء الطمئن
يُبعد له الأجل ويعتذر بالظروف ؛

— « أي ظروف ؟ لقد مرّ عامان منذ تزوجت ، فمن لي
على الحياة أحتمل بردها وسحرورها وحدي ، وما أنا عزب
فأنطلق حيث أشاء ، ولا زوج فأوى إلى بيتي ألتمس هدوء
النفس وبرد الراحة ؛ »

وعاد الأخ يتمتد ويجدد العناد ، وهو يرت على كتف
الزوج الغاضب

له : ما فعلت بك الأيام يا عاطف ؟

قال : ذلك ما ترى . ولقد أقسمت أن أفرغ الله ، فلم تمد لي في الزواج إربة ، ولن تراني إلا بين المسجد والبيت حتى ألقى منيتي ! حسي ، حسي ما لقيت من دنياي . . . ! وانكبت على سبخته بتمم الحبات تتساقط في الخيط واحدة فوق واحدة ، ورأسه يهتز كأنه يقول : كذلك تتعاقب الأيام كما تتساقط الحبات حبة وراء حبة ، حتى تكون النهاية ، حتى يكون الموت . . . ! وما وجدت عندي جواباً إلا أن أتحول وأدعه حيث جالس يداعب سبخته . أترأه كان يذكر الله ، أم يسب الدنيا . . . !

لقد راح المسكين يبحث عن الزوجة الغنية ليضاعف مالها ماله ، فأب فقيراً من مالها ومن ماله ؛ وذهب يسي لأن يضاعف بالزواج مسرات الشباب ، فردّه الزواج شيخاً في الثلاثين ! ما محمد معبر العربان

والكاتب ورسوم دعاوى وأجر الشهود . . . !

وامتدت بينهما الفتنة ، ولجت بهما الخسومة ، وطالت إجراءات التقاضي ، وتصرفت سنوات . وأخذ الزوج المسكين يبيع ما يملك قطعة بعد قطعة ، وفاء لنفقة الزوجة ونفقة القضاء ؛ وأوشك الزوج الذي راح يطلب الثمن من تحت أقدام امرأة — أن تصفر يده . . . !

واصطلحا في النهاية على الطلاق . . . !

قال المأذون :

« ولت للفتاة : أنت على نية إبرائه رغبة في الطلاق ؟

وزاغت نظرة الضحية المذراء من هنا الى هناك ، حتى استقرت على الرجل الجالس هناك ، ثم تكست رأسها . ولم تجيب قلت : إنك إنما تفصلين في أمر مستقبلك ، فليس هنا لأحد

عليك سلطان

فحدقت في طويلاً كأنما تتلمس المونة ، ثم حولت النظر الى أخيها فاذا في عينيه كلام طويل ، فأطرقت وهي تقول في همس : « نعم لقد أبرأته . . . ! »

والتفت إليها الرجلُ يصوبُ النظر ويصممه ، ثم نطق بالكلمة الفاصلة . . . !

وتحوّلت إلى الرجل فأنكرته ، وأقسم

لكأنما لم أكن أعرفه من قبل ، وما كان في

بالي أنه صديق عاطف . لقد انطلقا ريق عينيه

كأنما ينظر من خلف زجاجة ؛ وغاض ناه

الشباب من وجهه ، فما تراه إلا كوردة

الحريف ؛ وقد أطلق لحيته ، كأنما تركت

لطات القدر في عارضيه سواد حظه ؛ وكانت

في يده سحرة ، أحسبه كان يحصى عليها

همومه وأحزان نفسه ؛ وما رأيت شيئاً أبيض

— فيما رأيت — إلا عمامته . . . !

قلنا : « عمامته ؟ .. عهدنا به لا يلبس

إلا الطربوش . . . ! »

قال : « نعم عمامته ، فاستأنا . . . قلت

كستور الشتاء

شركة مصر للغزل والنسيج

تشرف بأن تملن حضرات مواطنيها الكرام أنها أتتجت من

القطن المصري الخالص

كستوراً فاخراً

لموسم الشتاء القادم

أطلبوا بالحاج من

التجار الذين تعاملونهم تقديم كستور الشركة أولاً وأصنافه من

(١) الكستور الفاخر (أبيض) (٢) كستور النيل (مقلم)

(٣) كستور فائله (مقلم) (٤) كستور ييكه منقوش (أبيض)

صيد الغزال

بقلم شفيق نقاش

في صباح يوم من أيام أغسطس العاصية، كانت الغزالة ترعى في جبل البازين Basin. تقضم الأعشاب اللينة برقة وهناءة، وتلفت جيدها محدقة في عظيمها الصغير، ورفيقها الوحيد في هذه الوهاد المقفرة، وهو مضطجع قريباً منها على فراش وثير من السجلة. لقد أخذت البقع العفراء الساحرة تفضي جلده الناعم فتكسبه روعة وبهاء؛ فهي معجبة به، منحو عليه، وتحيطه بنظرات العطف كلما بدت منه حركة دلت على خوف أو ألم، وهو يتحفظ للوثوب خلفها وجللاً كلما خطرت مبتعدة في طلب المشب صورة رائحة للأمومة التي تعطر جو الحياة الكئيبة، والثقة التي تخفف من شقاها

رفعت الغزالة رأسها بسرعة البرق، هل سمعت صوتاً؟ ربما كان ذلك حفيف الرياح الجنوبية تحترق الغابة؛ فالسكون الرهيب غيم على الوادي، والسكينة سائدة في كل مكان رنت الظبية بطرفها، وألقت نظرة اطمئنان على رشأها ثم تابعت رعيها. وبجأة رفعت جيدها واشرايت تجيل الطرف في أنحاء الغابة، وهي ترتجف من الخوف... هناك صدى صراخ متواصل يخترق الوادي، أصفت قليلاً فتأكد لديها بلح كلب يدنو رويداً من ركنا سها الأمين

كان الوقت كافياً لمرحلة طويلة تطويها مبتعدة عن الصيادين. ولكن هناك وحيدها الظبي الألف، وأنيسها في هذه الوحشة، فمن ينقذه؟ هو لا يستطيع اللحاق بها، فلن تكل أمره، ولن تتركه... نتاجت الكلاب غير بعيد، وتجيلى للغزالة الخطر المهدق بهما، فوثبت بضع خطوات الى الوادي تبحث عن ملجأ أو مهرب؛ وهب رشأها مذعوراً وهو ييغم متعجباً

أغرقت الظبية ثم ألقت نظرة وراءها، فرأته يتبعها بسيره البطي. وهو يتعثر متألماً من الجدوع الخشوية على الأرض، والأشواك التي تعترض سبيله. تابعت الأم سيرها واستمر وحيدها لاحقاً بها يتعروى ويستغيث، لأن البون أصبح شامعاً بينهما - كان صغير من مخلوقات الله لا يقوى على احتمال الألم والخوف والتعب، فوقع على الأرض! تصامحت الكلاب وتقاربت، واشتد بناجها. وأحرق الموت بهذين البريثين

من كل جانب؛ فندت المسكينة من صغيرها تلحس بلسانها بشرته الرقيقة الناعمة، واضطجع هو آمناً بقربها، مطمئناً بمودتها، ثم مال بث أن أنمض أجفانه من التعب

فكرت الغزالة في تخليص صغيرها من مغالب الكلاب ورضاص الصيادين، وكان صوتاً أهاب بها فرمت رأسها، وفتحت متخربها، وحدقت طويلاً في مصدر الصوت، ثم نفرت مفتحة الغابة، قاصدة ناحية أعدائها. ولما اقتربت منهم وتأكد لديها اكتشافهم لها واقفناؤهم أثرها، غيرت وجهتها وشرقت بهم مبتعدة عن ولدها فأصبح في مأمن من الشر

تضائل التباح وراءها، فوثقت من فوزها، وولت وجهها شطر الشمال تود القيام بدورة تعيدها حيث تركت فطيمها، ولكنها ما عتت أن سمعت صوتاً جديداً يقابلها، فانطلقت الى الأمام تجتاز الوادي

هذه صلصلة أجراس القرية تدوى في الفضاء ويتجاوب صداها، لقد أصبحت على مقربة من أكواخ الفلاحين. هنا أيضاً أعداء جدد لم تحلم بهم. سدت في وجهها الطرق، وأغلقت المفاوز، وأحاط بها الصيادون من كل جانب. - رحمتك اللهم! ألم تدع للشفقة مكاناً في ذلك الوادي الزاهر حين خلقتة؟ ولا للرحمة موضعاً في تلك القلوب حين كونتها؟

الكلاب تقاؤها من كل ناحية، وسكان القرية يطاردونها رجالاً ونساء وأطفالاً، يود كل منهم لو يظفر بها غنيمة باردة

تذكرت الظبية طلاها^(١) فتجدد أملها بلقائه، وسلكت طريق القرية مرغمة بين نبوح^(٢) الفلاحين ودوى البارود اعترضتها بحيرة قريبة، فألقت نفسها في الماء تشق صفحته، وتسيح بقوة عجيبية. لقد خارت قواها، ولم تعد سيقانها الضئيلة تساعدها على المضى في طريق النجاة

ولكن الأمل المذب - سر الحياة - كان يهيب بها دائماً لا تنحام تلك القمعات، حتى وصلت الشاطئ فأبرت مطمئة، وتمثلت أنيسها يبحث عنها في وحشته، فهزعت تريد احتضانه. ولكن هل تجت المسكينة بمد هذا المذاب الطويل؟ صياد جديد كان يترصدها فاستقبلها برصاص بندقيته، فوقعت جثة هامدة..

شفيق نقاش

« عن الانكليزية بصرف »

(١) الصغير من الظبي ومن كل شيء، (٢) ضجة القوم وأصوات كلابهم